الرسالة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

في هذا العدد

الصفحة

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف اجر بريد من
خارج ج . ع . م .
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ١٠٨٨ الخميس ١٥ رجب ١٣٨٤ هـ ـ ١٩ نوفمبر ١٩٦٤ م ـ السنة الثانية والعشرون



على شاطئ الأسبوع الثاني للكتاب العربي

بقلم : عباس خضر

قبل بضع سنين كنا فى أزمة تاليف تتكون من عدة خيوط عنكبوتية معقدة .. المؤلف الجاد ينظر اليه الناشر شذرا .. وسوق الكتب تغمرها الكتب المثيرة ، والتى تغذى التفاهة .. والتى تطلب بديلا من الاقراص المنومة ..

وكثير من القراء تعودوا على التسلية والاثارة والاقراص المخدرة .. ولم يعد لهم جلد على القراءة الجادة .

والقارىء اليقظ الواعى لايكاد يجد مايشبع نهمه وخاصة اذا كان من الاخوة المعسرين ..

وتدخلت الدولة الثائرة ، ونزل القطاع العام السوق ، وفى الوقت نفسه مدت يد التنظيم والعون الى القطاع الخاص .

ودارت رحى المطابع على الكتب «اللاتجارية» ، ونشط المؤلف ، واغرقت السوق بكتب كثيرة ، لم تكن كلها جيدة . وارتفعت الاصوات بالشكوى ، **وقامت معركة بين الكم والكيف .. حسمها العمل لتحسين الكيف مع الابقاء على الكم .**

وسارت السفينة باسم الله مجراها ومرساها ، **ونظمت أسابيع الكتاب العربى من أقصى الجمهورية الى أقصاها** ، ودنا الكتاب الجيد من قارئه كما تدنو الثمرة الطيبة من قاطفها . وبيعت فى تلك «الاسابيع» كتب كثيرة كانت دلالة الفرحة ببيعها تختلف عن دلالة فرحة التاجر .. **كانت دلالة الوعى الثقافى الذى ينفى عن هذا الشعب ما طالما رمى به من الجهالة والرغبة عن العلم والمعرفة .**

وصاحب عرض الكتب ندوات ثقافية التقى فيها الكتاب بالقراء لقاء المشافهة ، واثيرت مسائل ، ونوقشت أفكار ، والقيت أضواء ، وتنورت أذهان .

وكان محصول العام الماضى مغريا ..

هاهو ذا يدفع العاملين فى الحقل الى استئناف الدورة السنوية وفى ايديهم البذر والسماد ..

وهذا هو الاسبوع الثانى للكتاب العربى يبدأ فى القاهرة مركز الاشعاع الفكرى ، لكى يتابع جولته على ظهر السفينة المحملة بالكثير ..

وها نحن أولاء نقف على الشاطىء ، نشاهد ونسمع .. **نسمع الدكتور حاتم يعلن بصوت الثورة الثقافية القضاء على التاخر الثقافى والعمل على بناء الثقافة الاشتراكية ، وان كل مكتبات الثقافة أصبحت ملكا لجميع الشعب بعد ان كانت مقصورة على اقلية ضئيلة .**

وفى وقفتنا على الشاطىء لابد ان «ندردش» ولابد — بطبيعة «الدردشة» — ان تطول السنتنا قليلا او كثيرا حسب مقتضى الحال ..

وسنتناول — فى هذه الوقفة ثلاث مسائل ، اولاها تتعلق بمدى اقبال القراء على الكتب ، والثانية تتصل بجائزة احسن الكتب ، والثالثة هى مايجب على نقادنا ازاء الكتاب العربى الضيف ..

مزيداً من القراء .

اعرب الدكتور حاتم فى كلمة الافتتاح عن الارتياح الى النتيجة السارة للجهود التى بذلت فى تيسير الكتاب وادنائه من الشعب على اختلاف مستوياته، وهى اقبال المواطنين على شراء الكتب بصورة ملحوظة وعلى نطاق واسع .

ومما ساعد على ذلك الاقبال تخفيض اثمان الكتب الى مستوى يباع فيه الكتاب باقل من التكاليف ، وكذلك البيع فى معارض الأسابيع بترخيص الثمن عشرين فى المائة .

زد على ذلك جذب الأنظار وحسن العرض ومايدور فى الندوات من مناقشات فكرية تفتح الشهية للاستزادة بالقراءة .

طبيعى ان يحدث كل ذلك اثره ، **ولكن هل انتهت بذلك ازمة القراءة او عدم القراءة الباقية جذورها من الماضى ؟** لا اظن . فمازلنا شعبا لايقرا بالدرجة المطلوبة ، رغم التوسع فى التعليم وتيسير الوسائل، وما زلنا نلاحظ أن طاقة القراءة اقل من الكتب الوفيرة التى تصدر ، ومازلنا — لذلك — نرجو مزيدا من القراء .

هناك عدة اسباب لتلك الأزمة ، كان احدها عدم تيسير الحصول على الكتاب لافراد الشعب القليلى الدخل وعدم تقريبه من المواطنين فى غير العاصمة **وقد قضت جهود «الثقافة والارشاد القومى» على هذا السبب ، والحمد لله .**

والمجال هنا لايتسع لعرض بقية الأسباب ، ولكنى ارى ان ثمة سببا مهما ان لم يكن هو الاهم . **ذلك ان الفجوة كبيرة بين قراءة الطفولة وقراءة الشباب ، فالطفل يقرا مايكتب مناسبا له ، ولكنه عندما يبلغ المرحلة التالية لايكاد يوجد له عندنا مايناسبه** . ولو ان كلا منا عاد بذاكرته الى نفسه فى تلك المرحلة لعلم الجدب الثقافى الذى كنا نعانيه .. لم يكن امامنا غير القصص البوليسية وامثالها.

يضاف الى ذلك ان التاليف للطفولة نفسه يحتاج الآن الى عناية ودراسة ، وخاصة من ناحية **المضمون الاشتراكى** الذى يجب ان يقدم للطفل بطريقة سائغة .

ولابد ان هذا هو ما دعا الى ما اعلن عنه الدكتور حاتم من تخصيص جائزة لأحسن كتاب يؤلف للأطفال .

جائزة الأدب

اعلن الدكتور حاتم عن تخصيص جائزة لاحسن الكتب فى موضوعات التنمية الاقتصادية ومشكلات التصنيع والزراعة والمجتمع الريفى ، وجائزة الطباعة البارزة فى ميدان الخدمة الثقافية للمكفوفين ، الى جائزة التاليف للأطفال التى اشرنا اليها .

وتلك الموضوعات هى حقا اكثر من غيرها حاجة الى التاليف فيها ، فمجالاتها جديدة فى حياتنا ولم تقيم علميا بعد . وهى محور تقدمنا الاقتصادى والاجتماعى ، وكذلك رعاية المكفوفين فى مجتمعنا الجديد : مجتمع الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص .

وكنا نود ان تخصص جائزة للأدب .. فالأدب كما قلت فى الأسبوع الماضى خير وسيلة للتاثير فى النفوس وتعميق القيم والمثل الجديدة فيها ، **بل ان تلك الموضوعات نفسها يمكن أن يؤلف فيها أدبيا بمعنى تصوير مجراها فى المجتمع بالوسائل الفنية** . وبطبيعة الحال لا نريد الأدب الزخرفى المغرق فى التصورات والخيالات البعيدة ، أو «اللامنتمى» الى حياة الشعب .

الكتاب الضيف والنقاد

وقد شاهدنا بمعرض الكتاب العربى كتبا وافدة من العراق ولبنان والأردن وسوريا وغيرها من بلاد الوطن العربى جاء بها ممثلون لدور النشر فى البلاد الشقيقة للاشتراك فى أسبوع الكتاب العربى **وفى هذا – كما قال الدكتور حاتم – دلالة قوية من دلالات الوحدة الفكرية التى تلتقى فيها جميع الاتجاهات الأدبية والفنية والعلمية لتكون منها ثقافة عربية أصيلة جديرة بالأمة العربية .**

وقد قرأت أن أسابيع الكتاب العربى ستمتد الى خارج الجمهورية العربية المتحدة حيث تقام فى عدد من العواصم العربية ، وهذا – بطبيعة الحال – مقصود به تعزيز تلك الوحدة ونشر وسائلها وغذائها الثقافى فى أوسع نطاق عربى ممكن . **وانى أقترح اقامة أسبوع الكتاب العربى ببغداد فى الوقت الذى يجتمع فيه مؤتمر الأدباء العرب ومهرجان الشعر** ، وسيكون ذلك فى النصف الثانى من شهر فبراير القادم (سنة ١٩٦٥) ، وغير خاف أن هذا الظرف ملائم جدا لتحقيق الهدف الوحدوى الفكرى الكبير .

أقول هذا وأنا أعلم أن المشرفين على أسبوع الكتاب العربى ممن يسمعون القول ويتبعون أحسنه . فهل أطمع فى مثل ذلك من نقادنا اذ أقترح عليهم أن يذهبوا الى معرض الكتاب العربى بميدان الفلكى أو فى أى مكان يقام به فيما بعد ، ويختار كل منهم الكتاب أو الكتب التى تروق له أو تتفق مع اختصاصه من الكتب العربية الوافدة .

ويفرغ لقراءتها بعض الوقت ، ثم يكتب عنها معبرا عن تجاوبه الفكرى معها ؟

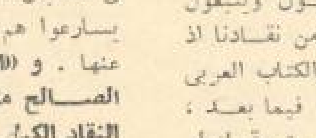
اعتقد أن ذلك يكون خيرا وأجدى من الصفحات التى تظهر فى صحفنا مملوءة بحلقات السلاسل التى ستظهر فيما بعد كتبا ، مرة فى رحلة الى «ميلاد شكسبير» على حساب الجريدة .. على حساب الاتحاد الاشتراكى .. على حساب الشعب ، ومرة فى رحلات أيضا الى ملاحم القرون الأولى والوسطى **.. على حساب الانتاج الفكرى المعبر عن هذا الشعب وتطلعاته الجديدة ، والذى هو أحق بتلك المساحات الصحفية المهدرة باسم الأدب ..**

هذه الدار المصرية للتاليف والترجمة ، وهذه الدار القومية للطباعة والنشر ، أعتقد أن كلا منهما، ومن غيرهما من دور النشر ، مستعدة لنشر الكتب التى تملأ سلاسلها تلك الصفحات المخصصة – طبقا للفن الصحفى – لشىء آخر غير الكتب المسلسلة ؛ شىء آخر يعرفه المشرفون على الصحف ، وهم من أساتذة الصحافة ، **ولا أظن أنهم محتاجون أن أنبههم الى أن المهمة الأولى أو الوحيدة** للصفحات الأدبية هى أن تكون مرآة للواقع الأدبى الراهن فى البلاد .

واعتقد كذلك أن الاهتمام بالكتاب الضيف والكتابة عنه أحسن من الكسل الذى يرين الآن على نقاد الصحافة فى انتظار الموسم المسرحى وعروضه الجديدة .

على أن لى أملا آخر أقرب الى التحقيق ؛ أملا فى الشبان النقاد أو المتطلعين الى كتابة النقد ، أن يسارعوا هم الى تلك الكتب ويدرسوها ويكتبوا عنها . و **«الرسالة» ترحب بكتاباتهم وتعد بنشر الصالح منه . لعلهم بذلك يكفرون عن سيئات النقاد الكبار ويحققون أملا يكاد يخيب .**

عباس خضر





وحدة اللغة

في الوطن العربي

للدكتور علي عبد الواحد وافي

من أهم الدعائم التي تعتمد عليها القومية العربية وحدة اللغة بين سكان الوطن العربي . فالأغلبية الساحقة من سكان هذا الوطن تستخدم في تخاطبها العادي وفي كتابتها ومختلف شئون ثقافتها وآدابها لغة واحدة هي اللغة العربية . ولا يخفى ما لوحدة اللغة في ميدان التخاطب والكتابة من أثر خطير في توثيق الروابط بين الجماعات وصهرها في قومية واحدة . فاللغة هي أداة التفكير ، وهي الوسيلة التي تسجل بها منتجات القرائح ، ويحفظ بها التراث العلمي والادبي ، وتستخدم في مختلف شئون التعليم والتثقيف ، ويعبر بها عن المدركات والعواطف وخلجات النفوس . فالاتفاق في اللغة يؤدي لامحالة الى وحدة في اتجاهات التفكير والمعرفة والوجدان وسائر مظاهر الشعور الانساني ، حتى ان المتكلمين باللغة الواحدة ليصبحون من النواحي النفسية والعقلية العامة – وهي أسمى نواحي الانسان وأهم خصائصه – أشبه شيء بصور متكررة متشابهة قد خرجت من قالب واحد : وهذا هو أقصى ما يمكن أن تحققه عوامل المزج والتقريب بين الجماعات .

***

ولم يتحقق هذا الوضع اللغوي الا بعد الفتوحات العربية الاسلامية . وذلك أن الاسلام قد جاء ونطاق اللغة العربية لا يكاد يتجاوز بلاد الحجاز ونجد واليمن وما يتاخم هذه البلاد ويقع على سواحلها . أما بقية بلاد الوطن العربي الحالي فقد سادت فيها حينئذ لغات أخرى كثيرة . فكانت اللغة الآرامية هي اللغة السائدة في معظم مناطق العراق والشام . وقد تم لها ذلك بعد صراع طويل خرجت منه منتصرة على أخواتها الاكادية (أو البابلية والاشورية) في الشرق والفينيقية والعبرية في الشمال . وكانت اللغة القبطية (التي تمثل آخر مرحلة من المصرية القديمة) هي المستخدمة بين أهل مصر في تخاطبهم العادي ، بينما كانت اللغة اليونانية هي المستخدمة لديهم في الغالب في شئون الآداب والكتابة الرسمية وغيرها . وفي بلاد شمال افريقيا (المغرب الادنى والاوسط والاقصى ، أو ما نسميه الآن ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا) كانت اللغات السائدة هي اللغات البربرية ، وهي أسرة من فصيلة اللغات الحامية . وكانت اللغات السائدة في القسم الافريقي الجنوبي من الوطن العربي الحالي هي اللهجات النوبية في بلاد النوبة واللهجات السودانية والكوشيتية في بلاد السودان .

ولكن بعد ظهور الاسلام وامتداد فتوحاته الى

جميع بلاد الوطن العربى الحالى بقسميه الآسيوى والافريقى ، نزحت جاليات عربية كبيرة العدد الى هذه البلاد وأقامت فيها بصفة دائمة ، وامتزجت امتزاجا كبيرا بأهلها ، وازداد هذا الامتزاج قوة وتوثقا بعد أن اعتنق معظم أهلها الدين الاسلامى ، وهو الدين الذى كانت تدين به هذه الجاليات • فاشتبكت لغتها العربية مع لغات أهل هذه البلاد فى صراع انتهى بانتصارها عليها جميعا• فأخذت هذه اللغات تنقرض شيئا فشيئا من ميادين التخاطب والكتابة ، ويحل محلها اللسان العربى وطرق تدوينه ، حتى انقرضت فى معظم هذه المناطق انقراضا تاما من جميع ميادين استخدامها ، وآوت الى ركن اللغات الميتة مع أخوات لها كثيرة انقرضت من قبل •

وقد تم النصر للغة العربية على هذه اللغات بفضل عوامل كثيرة يرجع أهمها الى ثلاثة أمور :

(أحدها) وهو أهمها جميعا يتعلق بالخصائص الذاتية للغة العربية نفسها • وذلك أن اللغة العربية كانت حينئذ أرقى كثيرا من هذه اللغات فى آدابها وثقافتها ، وأغزر منها فى المفردات ، وأدق منها فى القواعد ، وأقدر منها فى مجال التعبير عن مختلف فنون القول • وقد دخلت هذه البلاد وبين يديها تاريخ عريق وتراث ضخم فى قمته كتاب الله وحديث رسوله وهما أرقى ما يمكن أن يصل اليه الكلام البليغ • ولم تكن اللغات الاخرى فى هذه البلاد شيئا مذكورا بجانبها فى أية خاصة من هذه الخواص • ومن المقرر فى علم اللغة أن تفوق احدى اللغتين المتصارعتين فى خصائصها الذاتية تفوقا كبيرا على اللغة الاخرى عامل هام من عوامل تغلبها فى الصراع اللغوى • فصراع اللغات أشبه شئ بصراع الافراد ، ويقابل القوى الجسمية والحيل الرياضية فى الافراد ما تمتاز به اللغة من غزارة فى مفرداتها ، ودقة فى قواعدها ، وسمو ومرونة فى أساليبها ، وثروة فى آدابها وتراثها ، وقدرة على الابانة عن مختلف مناحى التفكير والوجدان •

(وثانيها) يتعلق بالاوضاع السياسية والحربية فى هذه البلاد • وذلك أن الجاليات العربية فى هذه البلاد كانت تمثل الشعب الغالب والطبقة الحاكمة من الناحيتين السياسية والحربية • وقد امتد هذا الوضع عدة قرون • ومن المقرر فى علم الاجتماع أن الشعب المغلوب يجنح الى محاكاة الغالب فى مختلف شئونه ، ويسود لديه كثير من أوضاع الشعب الغالب اذا دام الغلب أمدا طويلا • ويبدو هذا بوجه خاص فى الميدان اللغوى • فقديما سادت اللاتينية فى كثير من البلاد التى خضعت لحكم اللاتين ، وحديثا أصبحت الانجليزية لغة الولايات المتحدة الامريكية على الرغم من انتماء سكانها فى الأصل الى عدة أجناس ولغات ، وكادت الانجليزية تصبح لغة السكان فى كثير من مناطق الهند ، وأخذت الفرنسية تطارد العربية فى كثير من بلاد الجزائر •

(وثالثها) يتعلق بشئون الدين الاسلامى وصلته باللغة العربية • وذلك أن اللغة العربية هى لغة القرآن والحديث اللذين يقوم عليهما الدين الاسلامى ، وباللغة العربية كتبت جميع المؤلفات فى الاسلام عقائده وشرائعه فى العصور الاسلامية الاولى ، وباللغة العربية يؤدى كثير من شعائر هذا الدين وعباداته • فلما كان معظم أهل هذه البلاد قد اعتنقوا الدين الاسلامى ، ولما كان ارتباطه باللغة العربية قد وصل فى قوته الى هذا الحد ، لذلك شاع استخدام اللسان العربى بين أهل هذه البلاد ، وانضم هذا العامل الى العوامل السابقة فى توكيد انتصاره على الألسنة التى كانت سائدة فيها من قبل •

***

غير أن هذا الانتصار لم يتم الا بعد أمد طويل استغرق فى بعض الحالات نحو أربعة قرون أو أكثر من ذلك • ففى مصر ظل التحول من التحدث بالقبطية الى التحدث بالعربية يتسع نطاقه بالتدريج فى خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ولم يتم للعربية التغلب على ألسنة المصريين الا فى القرن الرابع الهجرى ، بدليل ما يذكره المقريزى من أن المأمون كان يتنقل فى ريف مصر ومعه مترجمون يترجمون له اللسان القبطى الذى كان يتكلم به حينئذ أهل البلاد الى اللسان العربى (وقد دخل المأمون مصر فى أوائل القرن الثالث الهجرى سنة ٢١٧ هـ) ، وبدليل ما يذكره المقدسى فى كتابه « أحسن التقاسيم » الذى ألفه سنة ٣٧٥ هـ من أن بعض مسيحيى مصر فى عهده كانوا لا يزالون



يتحدثون بالقبطية . ومثل هذه المدة قد استغرقها صراع اللغة العربية مع اللغات الاخرى ، بل لقد استغرق صراعها مع اللغات البربرية فى شمال افريقيا أمدا أطول من ذلك .

***

وقد احتفظت اللغة العربية بوحدتها وصورتها القديمة فى هذه البلاد فى ميادين الكتابة والصحافة والخطابة والتاليف ... وما الى ذلك . فاللغة المستخدمة فى هذه النواحى ـ والتى يطلق عليها لغة الكتابة ـ فى جميع بلاد العالم العربى هى لغة واحدة محافظة على أوضاعها الفصحى القديمة فى جميع عناصرها ومقوماتها : فى الاصوات والدلالة والمفردات والقواعد والاساليب . فوحدة اللغة بين البلاد العربية كاملة اذن كل الكمال فى هذه النواحى .

واما فى شئون الحديث والتخاطب العادى فقد انشعبت اللغة العربية فى ألسنة أهل هذه البلاد الى لهجات يختلف بعضها عن بعض وتختلف عن الاصل الاول الذى انشعبت عنه فى بعض مظاهر الاصوات والدلالة والقواعد والمفردات ، وسلكت كل لهجة منها فى تطورها منهجا يختلف عن منهج غيرها تحت تأثير ما يكتنف أهلها من ظروف خاصة من النواحى الاجتماعية والسياسية والجغرافية .. وما الى ذلك ، وتحت تأثير احتكاكهم بأهل اللغات الاخرى . وهذه هى سنة لهجات التخاطب فى جميع انحاء العالم : فهذه اللهجات لا يمكن أن تجمد على حال واحدة ، ولا يمكن أن تتفق لهجتان منها اتفاقا تاما .

غير أن اختلاف لهجات التخاطب فى البلاد العربية لا ينتقص من وحدة قوميتها ولا من وحدة لغتها شروى نقير ، وذلك :

١ ـ لان الاختلاف بين هذه اللهجات لم يتسع بعد الى الحد الذى تصبح فيه غريبة بعضها على بعض . ففى استطاعة أهل كل لهجة منها فهم اللهجات الاخرى ، لرجوعها جميعا الى أصل واحد قريب . ففى استطاعة المصرى مثلا بدون مجهود يذكر أن يفهم حديث السورى واللبنانى والاردنى والحجازى والنجدى واليمنى ، وفى استطاعته كذلك ولكن مع قليل من الانتباه أن يفهم حديث المغربى والعراقى . فالخلاف بينها لا يزيد كثيرا عن الخلاف بين لهجات البلد الواحد : فالخلاف بين لهجة أهل سوهاج ولهجة أهل طنطا مثلا لا يقل كثيرا عن الخلاف بين اللهجة المصرية فى مجموعها واللهجة السورية فى مجموعها ـ فلم يحدث بين اللهجات العربية مايفرقها تفريقا جذريا بعضها عن بعض ، كما حدث فى اللهجات المتشعبة عن اللاتينية مثلا ، وهى الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا . فمع أن هذه اللهجات كانت فى مبدأ أمرها لهجات تخاطب متشعبة عن لغة واحدة، كما هو شأن لهجات التخاطب فى العالم العربى ، فان هوة الخلاف بينها قد اتسعت حتى استحالت كل لهجة منها الى لغة مستقلة مختلفة اختلافا كبيرا عن أخواتها وغير مفهومة الا لأهلها ولمن يتعلمها .

٢ ـ ولان انتشار التعليم والثقافة والصحافة ووسائل الاذاعة والدعاية والاعلام والارشاد فى البلاد العربية ، واستخدام اللغة العربية الفصحى فى معظم هذه الامور ، كل ذلك قد قرب هذه اللهجات بعضها من بعض وجعلها مفهومة لجميع السكان من جهة وقربها من العربية الفصحى من جهة أخرى . فهذا العامل يسير فى طريق التقريب والتوحيد والقضاء على وجوه الخلاف ، فيخفف كثيرا من أثر العوامل الاجتماعية والجغرافية التى تباعد اللهجات بعضها من بعض . بل لعل أثر هذا العامل

فى التقريب أعمق كثيرا من أثر تلك العوامل فى التفرقة .

***

هذا ، وقد تخلف فى البلاد العربية بعض أقليات لا تزال لغة التخاطب بين أهلها تجرى بلسان غير عربى . ففى بلاد المغرب والجزائر وتونس وليبيا جماعات قليلة العدد تتحدث بلهجات منشعبة من اللغات البربرية القديمة . وفى اقصى جنوب مصر جماعات قليلة العدد كذلك تتحدث باللسان النوبى . واللغات السائدة بين سكان السودان الجنوبى هى اللهجات السودانية والكوشيتية (وعدد هؤلاء نحو مليونين اثنين ونصف مليون ، بينما يبلغ عدد سكان السودان الشمالى العربى اللسان نحو ستة ملايين ونصف مليون) . وفى العراق نحو مليون من الاكراد يتحدثون باللسان الكردى وبعض جماعات أخرى قليلة العدد تتحدث باللسان التركى والايرانى . ويقال انه لا يزال فى اليمن وسواحله بعض مناطق قليلة السكان يتحدث أهلها بلهجات منشعبة من اللغة اليمنية القديمة (وهى لغة كانت تختلف عن اللغة العربية ، ثم تغلبت اللغة العربية على السنة أهلها من قبل الاسلام بأمد غير قصير) . ومن هذه المناطق منطقة مهرة الواقعة شرقى حضرموت ويتحدث أهلها باللهجة المهرية ، ومنطقة الشحر الواقعة شرقى مهرة ويتحدث أهلها باللهجة الاخكيلية ، وجزيرة سقطرة والجزر المجاورة لها ويتحدث أهلها باللهجة السقطرية . ويقال كذلك انه لايزال فى الشام والعراق بعض بلاد يتكلم أهلها بلهجات منشعبة من اللغة الآرامية : فى الشام بلاد «معلولة» الواقعة شمالى دمشق و «جبعدين» بحفاء ، وفى العراق بعض قرى فى طور عابدين بميزوبوتاميا وبعض بلاد فى شرقى الموصل وشماله وفى جبال الكرد وعلى الشاطىء الشرقى لبحيرة اورميا .

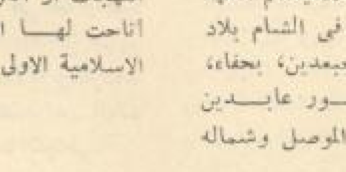
غير أن وجود هذه الاقليات لا ينتقص شيئا من القومية العربية ولا من وحدة اللغة نفسها . وذلك :

١ — لضآلة عدد هذه الاقليات اذا قيست بمجموع السكان . فاذا ضمت هذه الاقليات بعضها الى بعض فان عددها لا يكاد يتجاوز خمسة ملايين ، وهذا الرقم ليس شيئا مذكورا بجانب مجموع سكان البلاد العربية البالغ عددهم زهاء مائة مليون ، ورقم ضئيل كهذا لا يمكن أن يكون له أثر ما فى وحدة هذه المجموعة الكبيرة ولا فى وحدة لغتها .

٢ — ولان هذه الاقليات نفسها — وان كانت تستخدم فى تخاطبها لهجات أخرى غير اللغة العربية — تستخدم اللغة العربية فى شئون الكتابة والثقافة والتعليم ... وما الى ذلك . ومظهر الكتابة والثقافة والتعليم فى اللغة اعم كثيرا فى جميع الشئون الاجتماعية والانسانية من مظهر التخاطب .

٣ — ولان كثيرا من هذه اللهجات نفسها فى طريقها الى الانقراض . وذلك لان السبب فى بقائها يرجع الى انعزال اهلها فى الماضى عن بقية السكان . فلم تحتك لهجاتهم احتكاكا جديا باللغة العربية . اما الآن فقد تغيرت الاحوال ، ودعت الظروف الاجتماعية والسياسية الى خروجهم من عزلتهم وامتزاجهم باخوانهم ، فأتيح للغة العربية أن تشتبك مع لهجاتهم فى صراع جدى . وصراع كهذا لابد أن ينتهى عاجلا أو آجلا بانتصار العربية وانقراض هذه اللهجات أو انقراض كثير منها للاسباب نفسها التى أتاحت لها الانتصار على نظائرها فى العصور الاسلامية الاولى والتى أشرنا اليها فيما سبق .

دكتور على عبد الواحد وافى



دفاع عن الفكر العربي

المراهقة الفكرية

بقلم : عبد العزيز دسوقي

> **المراهقة الفكرية** خطر ينبغي التصدي له والقضاء عليه ..
> **التقدم الوطني** لا تحققه كلمات محفوظة عالية الرنين ... إن تحرير الطاقات الخلاقة لأى شعب من الشعوب يرتبط بالتاريخ . ويرتبط بالطبيعة . ويرتبط بالتطورات السائدة والمؤثرة فى العالم الذى نعيش فيه ...
>
> الميثاق الوطني

مرحلة التحول الخطيرة التى تجتازها الآن أمتنا العربية ، تحتاج الى كل الطاقات العربية المبدعة فى شتى المجالات ، لتعمل وتبدع وتبتكر ، لتندفع الثورة العربية المعاصرة الى غاياتها ، فى مأمن من التيارات المعوقة الخطرة ، التى تحولها الى الدروب والمنعطفات فتتبدد وتتلاشى ..

واذا كانت حاجتنا ماسة الى هذه الطاقات فى مجال التصنيع والانتاج ، فلا شك ان الحاجة أمس الى هذه الطاقات فى مجال الفكر والآداب والفنون لأن هذا المجال معرض لمرض خطير يتسلل اليه كالوباء فى فترات الازدهار والثورة ... هذا المرض هو المراهقة .. المراهقة الفكرية .

وقد تنبه ميثاق العمل الوطنى الى هذا الوباء الخطر فأكد أن « المراهقة الفكرية خطر ينبغى التصدى له ، والقضاء عليه .. أن الذين يجمدون الكفاح الوطنى بتفسيرات أو قوالب تحد قدرته على الانطلاق ، أو تشيع فيه روح التردد ، انما يقللون من قوة المجتمع ، بقدر ضعفهم وعدم قدرتهم على التفكير الخلاق المنبعث من الواقع الوطنى ..

ان التقدم الوطنى لاتحققه كلمات محفوظة عالية الرنين .. ان تحرير الطاقات الخلاقة لأى شعب من الشعوب ، يرتبط بالتاريخ ويرتبط بالطبيعة، ويرتبط بالتطورات السائدة والمؤثرة فى العالم الذى يعيش فيه .. ليس هناك شعب يستطيع ان يبدأ تقدمه من فراغ ، والا كان يتقدم الى الفراغ ذاته » وظاهرة المراهقة الفكرية هذه تأخذ



اشكالا متعددة ، وتتستر وراء اقنعة مختلفة ، فهى احيانا تتسلل مع تيار التجديد الذى يهدر فى حياتنا الادبية ، والفكرية ، واحيانا تختفى خلف واجهة براقة تهفو اليها النفوس .

والأمثلة كثيرة ... اذكر ان صفحة الراى بالأهرام نشرت مقالا للدكتور عبد العظيم انيس عن الفكر الاشتراكي وقضية التحول الفكرى ، يدمغ فيه اجهزة الدولة بالتهاون وتسلل الراسماليين الى مجلاتها الثقافية ، ويطالب بابادة كل التيارات الفكرية المعادية للاشتراكية وتنحيتها عن اجهزة الثقافة .. والى هنا يمكن ان نتفق مع عبد العظيم انيس .. ولكن الذى يثير العجب حقا ما نشره فى مقاله من تهجم على الفكر العربى والتراث الاسلامى فهو مثلا يسب « الغزالى » ويتهمه بالسلبية ، ويقول عن الامام (أحمد بن حنبل) « انه يمثل أشد الاتجاهات الفكرية جمودا وتحجرا فى الشريعة الاسلامية» ويرى فى اعادة نشر كتب الغزالى والحديث عن ابن حنبل قضية خطيرة ، والسكوت عليها طويلا ، ينمى ويوسع الاتجاه المعادى للاشتراكية !! ..

ويفهم القارىء العادى من كلام هذا الدكتور ان اشتراكيتنا ضد الغزالى وابن حنبل وغيرهما من اعلام الفكر الاسلامى .. ولو أن د. عبد العظيم انيس درس مؤلفات الغزالى وتراثه الفلسفى والروحى ، لعلم انه من اخصب العقليات التى انجبها الفكر الانسانى ، ولو فهم تراث احمد بن حنبل وعرف تاريخ حياته لظهر له انه بطل عظيم ، يستحق كل تقدير واعزاز ، ومع هذا فان طريقة دراسة التيارات الفكرية ، والشخصيات التاريخية يجب أن تتم على ضوء الظروف التى كانت تحيط بها وتعيش فيها ، ومن الظلم ان نحاكم اشخاصا عاشوا فى الماضى بمقاييسنا وافكارنا ..

ومع ذلك هل القيم الروحية التى يمثلها الغزالى وابن حنبل تتعارض مع اشتراكيتنا العربية ؟

والجواب بالتأكيد : لا ... فالميثاق يؤكد «ان **الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية ، أو من تراثها الحضارى قادرة على صنع المعجزات**» .

وقد تتعارض هذه الأفكار مع اتجاهات الدكتور عبد العظيم المادية والفلسفية ، ومن حقه أن يعارضها ويقف ضدها ، ولكن ليس من حقه ان يقول انها ضد اشتراكيتنا ... ولو كنت أومن بمنهج الدكتور بعد هذا ... لأضفت التيار الذى يمثله هو الآخر الى التيارات التى تعادى اشتراكيتنا العربية ، ولكننى أومن أن الأفكار لاتعزل ، وان الاتجاهات الضارة لاتعالج بالابعاد والتجاهل ، ولكن بالجدل والحوار ... واننى اذكر هذا الدكتور بالكلمة الرائعة التى جاءت فى الميثاق«ان التقدم الوطنى لا تحققه كلمات محفوظة عالية الرنين» .

البداية ...

ولقد بدأت هذه الظاهرة الخطرة فى بيروت منذ مدة ... وانتشرت فى مجلاتها التى تصدرها الدوائر الأجنبية واحتفت هذه المجلات بالشبان الجدد الذين يمثلون هذه المراهقة الفكرية خير تمثيل من امثال مجاهد عبد المنعم مجاهد ، ومحيى الدين محمد ، وآخرين، وهم كتاب مصريون هاجروا بأفكارهم الى هذه المجلات فى لبنان ... وليس فى كتابتهم اصالة أو ابداع ، وانما هم يرددون افكار اخواننا (الرافضين) فى بيروت ... من امثال يوسف الخال وعلى احمد سعيد (ادونيس) وفؤاد رفقة وانسى الحاج وجبرا ابراهيم وغيرهم .. وغيرهم من أبناء « الرفض » .

ولقد ظل اخواننا القاهريون المهاجرون بأفكارهم الى بيروت ، يهاجمون ، فى مراهقة وصغار ، تاريخنا وحضارتنا وقيمنا وكل مايمت بصلة الى تراثنا الحضارى ... بل لقد بلغ الأمر بأحدهم أن يتساءل فى جراة وصراحة .

« **أولا** : هل يصلح العالم العربى نقطة انطلاق لحضارة علمية كبرى ؟ كلا بالطبع

ثانيا : هل تصلح الآداب العربية القديمة ، نقطة انطلاق لحضارة أدبية ؟ كلا بالطبع .

ثالثا : هل يصلح الضمير الدينى القديم ، نقطة انطلاق للضمير العربى الحديث ؟ كلا بالطبع » .

وهكذا بشر هؤلاء الشبان المراهقون فكريا بانتهاء الحضارة العربية وموت التراث العربى !! ويمكن أن نضيف الى هؤلاء الشبان رجلا تجاوز مرحلة الشباب ، ولكنه للأسف ظل حتى الآن يحتضن هذه الأفكار والتيارات ، هو الدكتور لويس عوض ، ومن المستبعد أن نتهم الدكتور لويس بالمراهقة الفكرية ، وان ظلت هناك بواعث اخرى نفسية واجتماعية تجعله يقف مع هؤلاء الشبان ... فهو على وقاره واصطناعه موقف الناقد الجاد الكبير فى صحف القاهرة ، تراه فى صحف بيروت المشبوهة ينشر قصائده السخيفة ، ويقدم لها بمقدمات اسخف ... فيخبرنا مرة بأنه مر بأزمة نفسية عاصفة أشفت به على حافة الكثكلة ، ودخول الدير ... وانه تخلص منها بقصيدة سماها شطحات الصوفى .

وهذه القصيدة تشبه الفية ابن مالك فشعرها بارد لايدل على شاعرية ولاينم عن أى انفعال ومنها .

اكلت الله فى خبزى فقوى زند ايمانى
الهى صائد ماكر ... انا من امره حائر
يقيدنى ويطلقنى كهر حاذق ماهر
الهى عنكبوت ينسج الاحلام فى روحى
الخ... الخ ...

الناقد العجيب

ونقفز من هذا الشعر السمج البارد الخالى من الشاعرية الى ناقد عجيب غريب هو الدكتور محمد النويهى ، ووجه الغرابة فيه ، أننى لايمكن أن أتهمه بالمراهقة الفكرية ، فالرجل علامة ناضج ، ولا يمكن أن أتهمه بالشعوبية والعداء لحضارتنا وتاريخنا ، لأنه رجل طيب وقلبى لايطاوعنى على هذا الاتهام ، فماضى الرجل جاد مشرق .. ولكنه للأسف ، يقف فى هذه الايام ، مع هذا التيار الذى وصفته بالمراهقة الفكرية .. فهو يكتب كثيرا فى مجلات القاهرة ، مقالات طويلة .. طويلة .. مليئة بالأحكام الجائرة الظالمة

● فهو يتهم الأمة العربية بالانحطاط ، ويرى أن الأمة المنحطة لاتنتج الا أدبا منحطا .

● وهو يقول ان الشكل الشعرى القديم ـ غير المنطلق ـ مات ولم يبق له الا الكذب والاصطناع ..

● ثم يزعم زعما غريبا وهو : أن هؤلاء الشبان الرافضين جزء من ثورتنا وانعكاس لها ... واننا مطالبون بأن نستمع اليهم ، ونتقبل رفضهم وسبهم ولعنهم لأنه جزء من نهضتنا الكبرى !!

ودليل الدكتور النويهى على قضيته ، ان هؤلاء الشبان نموا وواكبوا الثورة .. فهم منها ولها ... وهذا منطق غريب ، وان كان يخفف من هذه الغرابة ان هذا المنطق مسبوق ... فقد قال به الشبان الرافضون المجددون الذين يزعمون أن تجديدهم ابحار فى « بحر الظلمات » الذى خشيه الملاحون قرونا طويلة ... وان الشعر الحديث قلب للمفاهيم الموروثة ... وأنه انعكاس للتمرد العربى فى سبيل حياة أغنى وأعنف .. وليس من قبيل الصدف أن يأتى معاصرا لفترة التمرد السياسى والغليان الاجتماعى فى العالم العربى .. انه جزء من الثورة الجذرية فى الكيان العربى .. انه جزء من زحزحة العتيق وبناء الجديد ... جزء من تململ المدنية العربية بعد سبعمائة سنة من ريف نال منه الجفاف، وصحراء خلت من فرسانها » .



وقد أخذ الدكتور النويهي هذا الكلام وملأ به ثلاثين صفحة من مجلة الشعر واصطنع لهجة حادة وتقمص شخصية المبتكر ... ومن عجب أن كل الأفكار التي يبشر بها الدكتور النويهي في هذه الأيام ليست من اختراعه فقد سبقه اليها الكثيرون، فهي أولا أفكار وقضايا مسبوقة وغير أصيلة ... ثم هي أفكار هشة لا تصمد للنقاش .

مثال :

ولنأخذ على سبيل المثال قضية من هذه القضايا التي يتحمس لها الدكتور النويهي ، ولتكن من القضايا الهامة في نظره والتي وقف عندها طويلا ، ورددها في مقالاته ومحاضراته وكتبه ، واستأنى في درسها ، حتى لا نتهم بعد ذلك بأننا نتصيد للدكتور القضايا والأفكار السريعة التي تدفعه اليها الصحافة وهذه القضية هي « الشكل الشعرى » . فالدكتور النويهي دار حول هذا الموضوع كثيرا وانتهى فيه الى عدة أحكام صارمة ، ألقاها في اطمئنان ، وكأنه صاحب الكلمة النهائية في الآداب والفنون :

● من هذه الاحكام الصارمة القاسية ، «ان شكل الشعر التقليدى عندنا ، مضت عليه ألف وأربعمائة سنة ، وانه طوال هذه السنين ظل يحمل مضمونا جامدا ضحلا فقيرا ، أنهكه وأفقده الجدة والأصالة والصدق لذلك أصبح غير قادر على حمل مضمون جديد صادق الجدة ..

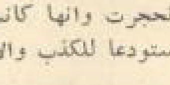
● وان الشكل القديم طغت عليه نبرات الكذب والافتعال ثم صار من المستحيل تصفيته منها واجلاؤها عنه .

● وان هذا الشكل لم يبق له الا مجال الكذب والاصطناع والتقليد .

● وان الذى أدى الى موت هذا الشكل وعجزه التام – غير طول العهد به وغلبة الكذب – هو الاسراف في الانضباط والرتوب ، والمغالاة في السيمترية الهندسية الجامدة ، وحدة القرع وبروز الإيقاع الذى يؤلم الأذن الحساسة الناضجة التواقة الى خفوت الموسيقى وتنوعها .

● وفي غمرة هذا الحماس أكد الدكتور النويهي ان هذا الشكل « كان يحمل منذ البدء جراثيم جموده وتحجره » .

هذه هي أحكام الدكتور الصارخة لخصتها بعباراته هو حتى تكون أمناء في نقل أفكاره الى القراء الذين لم يتابعوا كتاباته . وانت تلاحظ ان الدكتور النويهي يسوق أفكاره في أسلوب حاد صاخب يسوده الضجيج والجلبة ، يجرح الأذن المثقفة المحتاجة الى التحليل الموضوعي الصادق .. وهذه ملاحظة شكلية من هذه الملاحظات التي تروق للأستاذ الدكتور .. وملاحظة أخرى تتصل بالشكل وبمنهج الدكتور في الدراسة والحكم ، وهي أنه يطلق أحكامه بلا حيثيات ، وبمعنى أدق ، انه لم يتتبع بصورة شاملة الأمثلة الدالة على صدق دعواه من أن الشكل القديم مات واندثر لكذبه وجموده وتحجره ، ولم يأت بقصائد يبين لنا فيها هذا الجمود والتحجر والاصطناع . ولكنه راح يصطفى قصائد من الشعر القديم ، ويشرحها ويبرز ما فيها من أصالة وصدق وجمال ! . وانني لأعجب العجب كله من الأخ الدكتور النويهي لماذا يتعب نفسه ، ويشغل وقته بالبحث عن الجواهر بين اكداس الصدف التافه ... ما دام يؤمن أن الكثرة الكثيرة من شعرنا القديم ماتت وتحجرت وانها كانت منذ القدم في الأعم الأغلب مستودعا للكذب والافتعال !



ثم نعود الى مناقشة الاستاذ الدكتور النويهي في احكامه التي أطلقها :

هل صحيح أن الشكل القديم مات وجمد وتحجر، ولم يعد صالحا لغير الكذب والاصطناع ؟ وأنه غير قادر على حمل مضمون جديد صادق .. ؟ وكان من الممكن أن أسلك مسلك الدكتور النويهي وأطلق أنا الآخر عدة أحكام بلا حيثيات ... أؤكد فيها أن هذا الشعر صادق ومتجدد وأنه يحمل في ثناياه أسباب تطوره وعبقريته ، وأن كل الاحكام التي ذكرها الدكتور تجانب الصواب ... ثم تضيع القضية بيننا ... ولكنى أحب أن أدخل مع الدكتور في جدل هادىء حتى نصل الى الحقيقة ... وقد أقتنع بأحكامه ..

● الدكتور فى أحكامه يقف طويلا عند الجانب الشكلى .. هندسة البيت .. حدة الايقاع التى تؤلم الأذن الرتوب ٠٠ ويرتب على ذلك أحكامه على الشعر ، أما التجربة الفنية المتكاملة فى القصيدة ، وعناصر الابداع الفنى ، فلا يهتم بها اهتماما كبيرا. ومن هنا تبدأ أحكام الاستاذ الدكتور فى الحدة والاندفاع ، فالشعر عنده شكل ٠٠ قالب ٠٠ مع أن علماء الجمال والفلاسفة الذين شغلوا أنفسهم بالبحث فى فلسفة الجمال من أمثال هيجل وكانط وشوبنهور وجويو وكروتشه ٠٠٠ قد اختلفوا اختلافا كبيرا حول الأثر الجمالى الذى يحدثه فينا الشيء الجميل ٠٠ أو الأثر الفنى ، وهل نشعر بما فيه من جمال من خلال ما يثير فينا من احساس وما يعمق فينا من مشاعر ، وعواطف تشعرنا بانتظام الحياة وانسجامها ٠٠٠ أو بمقدار ما يخلصنا من الارادة ويسمو بنا الى دنيا التأمل العقلى والوجدانى ٠٠٠ وغيرها من الاختلافات التى تحتشد بها هذه الدراسات ؟

ولكن الشيء الذى يتفق عليه الدارسون أننا لا يمكن أن نفصل بين الشكل والمضمون ونحن نتتبع الأثر الذى يحدثه فينا العمل الفنى ٠٠٠ وسواء أكان الجمال ذاتيا أو موضوعيا ، خارجيا أو داخليا فان العمل الفنى لا يمكن أن يأخذ روعته وصدقه من خلال قالبه أو شكله الخارجى ، والا لتساوى جميع الشعراء والفنانين ، لأن الاشكال والقوالب مبذولة للجميع ، وانما يأخذ روعته وجماله من صدق الفنان الباطنى ، وقدرته الفنية على التقاط أجزاء التجربة والاهتداء الى قالب فنى يصوغها فيه ملائم لها ، يمتزج بها فى وحدة عضوية متناسقة تثير فينا الجمال ، لا بشكلها أو قالبها بل بمجموع هذه العملية الفنية المعقدة ٠٠٠ وهذا هو المعيار الفنى الذى يميز شاعرا عن شاعر وقصيدة عن قصيدة ... ولذلك نرى قصيدة من الشعر المنطلق غاية فى الكذب والافتعال والضجيج ، لأن الشاعر يفتقد الصدق الفنى والأصالة ... ونجد قصيدة من غير هذا الشكل فى غاية الأصالة والصدق وخفوت الموسيقى لأنها تعبير عن احساس باطنى صادق

فالتفرقة التى يقيمها الدكتور النويهى بين الشكل القديم والشكل الجديد ، تفرقة غير علمية ، ولا تتفق مع واقع حياتنا الشعرية ، وهذه هى البداية التى بدأ منها الدكتور أحكامه الخاطئة ٠٠٠ انها تفرقة منطقية تعتمد على الأقيسة المنطقية ، فالعقل يقتنع بأقيسة الدكتور نويهى المنطقية البارعة ٠٠٠ مثل «الشكل القديم ظل يحمل الكذب والاصطناع أكثر من ألف عام وانه منضبط مسرف فى الانضباط رتيب حاد القرع ٠ لهذا لا بد أن يفقد قدرته على حمل المضمون » ٠٠ هذا كلام جدلى بارع ولكن بقليل من التمعن والدرس ندرك ان الشكل الشعرى ليس حمارا يحمل على ظهره المضمون ويسير فى مجاهل الحياة مئات السنين ! .. لو كان الأمر كذلك لسلمنا مع الدكتور محمد النويهى بموت الحمار من الاعياء والتعب ... ولطالبنا باحضار حمار أو فرس قادر على حمل المضمون الجديد ... المنطلق .. !!

ولكن الأمر ليس شكلا جديدا أو قديما ، وانما هو « عملية الابداع » المعقدة الكثيرة العناصر ٠٠٠

ويمكن أن نسوق للدكتور مجموعة من التجارب الفنية أبدعها شعراء فى عصرنا هذا ، صادقة كل الصدق جديدة كل الجدة ٠٠٠ هامسة كل الهمس.

وليستمع معنا الدكتور النويهى الى هذه الأبيات التى يعبر بها أبو القاسم الشابى عن حالة من حالاته النفسية العاصفة :

ياصميم الحياة انى وحيد
مدلج تائه فاين شروقك ٠ ؟
يا صميم الحياة انى فؤاد
ضائع ظامىء فاين رحيقك ؟

الى أن يقول :
لم أجد فى الوجود الا شقاء
سرمديا ولذة مضمحلة
واناشيد ياكل اللهب الدامى
مسراتها ويبقى أساها
وورودا تموت فى قبضة الأشواك
ما هذه الحياة المملة ٠٠٠ الخ

أو قول ابراهيم ناجى فى « رسائل محترقة »

ذوت الصبابة وانطوت
وفرغت من آلامها
لكننى ألقى المنايا
من بقايا جامها

عادت الى الذكريا
ت بحشدها وزحامها

فى ليلة ليلاء أر
قنى عصيب ظلامها

هدأت رسائل حبها كا
لطفل فى أحلامها

فحلفت لا رقدت ولا ذا
قت شهى منامها

اشعلت فيها النار
ترعى فى عزيز حطامها

تغتال قصة حبنا
من بدئها لختامها

احرقتها ورميت قلبى
فى صميم ضرامها

وبكى الرماد الآدمى
على رماد غرامها

او قول أبى شادى : فى « بحر السماء » :

هتفت بى الاضواء فاستيقظت من نومى على قلق من الاضواء

ونظرت فى افق السماء فلم أجد الا حديث الموج والداماء

السحب تجرى فى اصطخاب الموج لا ترضى بهداة لحظة لندائى

وتغيب فى بحر السماء كما مضى حلمى وانفاسى ووحى رجائى

أو قول الهمشرى من قصيدته « الى جنا الفاتنة »

أنت حلم منور ذهبى
طاف فى افق عالم مسحور

وتجلى على غياهب روحى
بجناح من الضياء البشير

انت عطر مجنح شفقى
فاوح الروح فى همود الذهول

قد سرى فى الخيال طيب شذاه
من زهور فى شاطىء مجهول

فهل هذه الأنغام الحارة المرهفة العميقة كاذبة يا دكتور نويهى أو جامدة أو رتيبة أو حادة القرع ؟ .. اننى أترك ذلك لذوق الدارسين والقراء ...

قد يقول الدكتور النويهى ... ان هذه المختارات أو بعضها قد دخلت عليها تجديدات جزئية فى القالب الشعرى .

ونحن نسلم بذلك ، لأن الشعراء باحساسهم الفنى انساقوا فى حالة ابداعهم الى هذه التجديدات ونحن من القائلين بان حركة التجديد فى الشعر العربى لم تتوقف أبدا ... ولكننا نؤكد ايضا أن صدق هذه الأنغام وروعتها لم يأت من قالبها وشكلها ... وانما جاء نتيجة الصدق الباطنى الذى يمتاز به الشعراء بدليل ان قصيدة ناجى من حيث الشكل من مجزوء بحر قديم ... ولم يمنع ذلك من صدقها واصالتها وروعتها ...



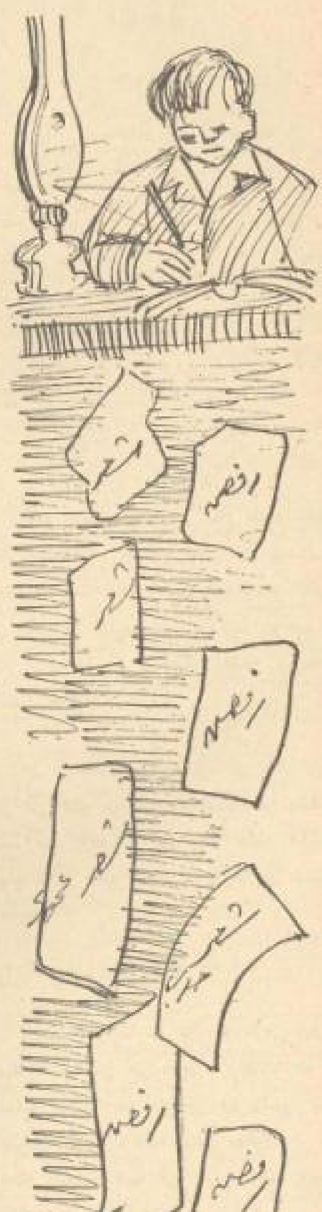
ولو كانت الصفحات تتسع لمزيد من النماذج لوضعت بين يدى الدكتور النويهى قصائد من الشعر المنطلق فى غاية الكذب والاصطناع والضجيج ... ليتاكد أن الشكل الشعرى القديم لم يمت للأسباب التى ذكرها وليلتمس له أسبابا أخرى فى عملية الابداع الفنى وليستشر علم الجمال وعلم السلوك ليأتى بأحكام موضوعية منصفة ، ولا أستطيع أن أزعم ان الدكتور النويهى يجهل هذه العلوم ، فقد الف كتبا تدور حولها ..

ولكننى لا أدرى لماذا يحكم هذه الاحكام ويطلق هذه القضايا ، وما هى البواعث النفسية والاجتماعية خلف موقف الدكتور الأخير ... اننى فى حيرة وعجب ... ولذلك لم أكن هازلا حينما سميت الدكتور النويهى فى هذا المقال بـ «الناقد العجيب» وهذا هو السر فى اننى حشرته ضمن هذا المقال الذى يتحدث عن المراهقة الفكرية والشبان الذين هاجروا بأفكارهم الى مجلات أدب وشعر وحوار وغيرها من مجلات « المنظمة العالمية لحرية الثقافة » ومعذرة للأخ الدكتور فافكاره وقضاياه فى هذه الأيام تجعله يقف على الأرض الفكرية التى يقف عليها هؤلاء ..

عبد العزيز الدسوقى

قيم في النقد

للدكتور: احمد كمال زكى



المقالات التى ناقشنا فيها بعض شعراء الرفض لا تعنى الحكم بالاعدام على اى واحد منهم ، فقد سبق ان ذكرنا ان امرهم للتاريخ وانما كنا نحاول جاهدين ان نصل الى النقد الذى يمكن ان يقترح كاساس للتقدير الذى نراه ، وليس معنى هذا أن نلغى مدارس النقد او نسقطها من حسابنا لمجرد أنها فرضت بعض التصورات القلقة حول القيم الفنية ، فهذه من غير شك - من بلاغية تقليدية الى نفسية الى تاليفية الى غيرها - تحاول بقدر المستطاع ان تمنع فوضى الانطباعية التى يريد أن يقترحها الباحثون عن النقد الهين السريع .



وفضلا عن ذلك ، فانها حين تتعارض ..ويتخذ تعارضها صورة الكشف او الاستطلاع فانها تهيىء السبيل الى انبثاق أساليب جديدة من التعبير وظهور خبرات تستجيب لهذه الاساليب . وقد اظهر النقد الموقفى او الايديولوجى او الاجتماعى فى صراعه مع البلاغيين عندنا مقدار ما فى الشعر المرسل من خصوبة وثراء ، ومن ثم تسللت بعض عباراته الى الشباب العموديين الذين وصلوا الى مرحلة النضج الفنى .

ونقول فى غير مواربة ان تحول المفاهيم أو انحرافها عن التقليديات بات فى حاجة الى دعم النقد بما يتلاءم مع التطور الجديد ، بل لعل الانماط التى تحطم «الشكل» المتعارف عليه لاكثر اجتراء على ترك القواعد المتوارثة ، فقد أصبحت هذه بمثابة صور شوهاء لاعمال سبق تقديرها تحت ظروف معينة .

لقد اصبح الادب - بغض النظر عن تعريفه الاكاديمى الذى يستند الى احصائيات شبه مدرسية لجزيئات ضروبه - تعبيرا فنيا عن شىء ما .. عن تجربة .. عن انسان لم يسلم بالمعطيات المقررة ، ولهذا يصعب كثيرا الا نجد انفسنا مدفوعين الى اعتبار نقده تشريحا لذلك التعبير .

والتشريح لا يعنى هتك العمل الادبى ، وانما يعنى وصف أجزائه فى الكل الفنى .. وصفها فى نطاق الصورة المشكلة للموضوع

وفى مسح الخصائص التى تفرد بها هذا الموضوع عزان يكون الحكم على «القيمة» الكلية غير ملزم بأكثر من تربية ادراكنا للاعمال الادبية المختلفة .

ولعل سبينجارن كان من أهم من نادى بشىء من هذا ، وكان كبعض نقاد فرنسا طوال القرن الماضى وكجوته يجعل « نظرية التعبير » فيصلا فى تقييم خبرة الاديب ، بل عن طريقه - على نحو ما - ظهر كيف تنمو دائما خبرة أى ناقد يرتبط أساسا بالمادة الموضوعية .

وتعطينا هذه النظرية كل الحق فى ان نخلص الادب من آفة تقسيمه الى أنواع مختلفة أو على الاقل لا نعتبر غزل شاعر ما غير مدحه وغير هجائه وغير الرثاء الذى قاله . بمعنى أن أنواع الشعر أو فنونه أو ضروبه لا يمكن أن تخضع لقوانين تختلف بحسب لون التعبير فيها ، فان التبويب لا يعدو أن يكون تسميات

لـــــ لها دلالة عملية فى الشعر ، وأجدر منها بوحدة القصيدة مثلا ، كأن تكون ذات صبغة غنائيـــة او تنطوى على طابع ملحمى وهكذا .

وحتى اذا توسعنا وخرجنـــا الى الدائرة العامة للشعر ، فاننا لا يمكن ان نخضع فى النقد لمؤرخ الادب الذى يفصل بين الملحمة والملهاة والمأساة ، والا كان علينـــا أن نقطع هوميروس الغنائى عن هوميروس الملحمى .. واذا جاز هذا القطع نظريا او ذهنيا ـ بحسب ما يرى مؤرخ الادب ـ فلا يجوز عمليا لان الملحمة فى جوهرها غناء باعتبارها فنا ، والفن كما نعرف أو كما ينبغى أن نعرف غناء سواء أكان «الالياذة» أم «الكوميديا الالهيـــة» أم «الدانوب الازرق» أم «رقص أولاد البلد» أم «تمثال رمسيس» .

وبناء على هذه النظرية تلغى الاحكام التى تقوم على تقسيم الادب الى شعر ونثر ، لان الادب فن ، والفن تعبيـــر يمكن توصيـــله للمتلقى ، وليست ثمة حاجة الى بيـــان أن طريقة التعبير فى النثر تختلف عن طريقة التعبير فى الشعر ، لان أسلوب التعبير نفسه يختلف من أديب الى أديب ، بل يختلف عند الأديب الواحد من حالة الى حالة والمعول عليه هنا ان يسأل الناقد : ماذا كان أثر الشكل الملحمى عند فرجيل الشاعر وكيف عوقت تقاليد السونيت شكسبير عن الانطلاق كمـــا انطلق فى الدراما ؟ وهل كان أبو العلاء اعمق تعبيرا فى رسالة الغفران منه فى لزوم ما لا يلزم .

❋ ❋ ❋

هذه ناحية ، والناحية الاخرى لاتقل أهمية عنها لانها تعنى بعنصر الجمـــال الذى جرى العرب والغربيون خلال العصور الوسطى على اعتباره زينة خارجية ، أفلم يقرر ذلك أرسطو أستاذ هؤلاء جميعا ؟ ولكن مـــناقشة التعبير تستلزم طرح كل عناصره على بساط البحث والجمال احد هـــذه العناصر ، بحيث يكون والتشبيه مثلا جزءا من كل لايمكن بحثه على حدة ، وبحيث تكون الاســـتعارة ملتحمـــة عضويا بالبنية ، وتكون صورة التعبير كيانا فيه كل شىء عن التجربة .

ويرتبط بالجمال كل حكم اخلاقى ، ماكان يبحث عن الخطأ والصواب او ماكان يسأل : ما جدوى وجوده فى النص ؟ بل يتسع السؤال ليشمل الأثر الادبى كله ، فهل له فائدة ، وما دوره فى تفسير الحياة ، ولما كان يتطلب من الاديب أن يكون ذا موقف فكرى ـ على ماقررنا ونحن نناقش البياتى والخال ـ فان تشكيله لعنصر الجمال وبالتالى بناء النص كله يرتبط باخلاصه لفنه ، ومن ثم يكون التعبير تعبيرا عن تجربة حياتية ذات ابعـــاد معينة .

واما الناحية الاخيرة فقد تبدو ساذجة ، ولكن عناية اغلبنا بها اعطتها أهمية ، بحيث وجدت مدرسة فى الفن لاتزال تبحث ـ فى نقد الأثر ـ عما قرره تين فى «البيئـــة» وما **يتصل بها من «جنس» و «زمن» . ولقد بدا** واضحا أن هذه جميعا تشكل وثيقة تاريخية اجتماعية ، الا أنها لاتضيف الى الادب شيئا ، هى قد تكشف عن تاريخ حضارة ، ولـــكنها لاتقدم التبرير الكامل للتجربة ، فقد يكون للاديب طاقاته التى يستطيع أن يزيف بها الحقيقة كمـــا فعل الرافضون ، وقد تكون مهارته الفنية أقوى من البيئة ، ولعلنا من هنا نجد تفسيرا لاختلاف طائفة من الادباء عاشت كلها فى زمن واحد ومن جنس واحد يضطرب فى حيز بيئى بعينه .

اذن .. فمسألة التعبير هى قاعدة النقد الذى اقترحناه ونقترحه ، وهى فى شكلهـــا الذى نحدده تمر فى مرحلتين : أولاهمـــا : مرحلة الفهم فهى انطباعية ، والثانية مرحلة التفسير ، وقد التزم المرحلتين فى نقده كل من محمود أمين العالم وعبـــد العظيم أنيس فى كتابهما « فى الثقافة المصرية » وناقشا بعض آثار العقاد والمازنى والحكيم ونجيب محفوظ وغيرهم مناقشة ايديولوجية اهدرت فى الطريق عنصر الجمـــال ، وتعسفت فى تطبيق نظرية متطرفة استهدفت تقييم المضمون ، واستهجنت مالا يوافق اتجاههما باعتباره انحرافا عن الفن نفسه .

والعجيب أن كثرة من النقاد تابعوهما فصدر محمد مندور بنقد خالف فيه منهجه الذى اتبعه فى «نماذج بشرية» و «فى الميزان الجديد» وكان من أثر ذلك أن شب جيل من الشباب على الادب «سياسة» أو «شعارات» لاحاجة بها الى الشكل الفنى الجميل .

❋❋❋

ولو قد عنينا بالاصول الجمالية الى جانب البحث المقصر للتعبير فقد تحديد الهـــدف اذن لاكتملت صورة النقـــد المقترح ، واذن لظهر أن الحياة التى ينبغى أن ينبض بها النقد لاتقل قوة عن الحياة التى بثها الاديب فى النص ، هذه الظاهرة قد لاتفسر لنا كل مايجب **ان يقال عما نريد ، ولكنها فى رأينا تجعل** النقد بدونها عقيما . ولست أزعم انها قاطعة الحكم لاولا اريد أن ألقى فى الروع انها لاياتيها باطل قط . وانما أرى بالتجربة انها تضع أيدينا على قيمة العمل مهما يكن .

❋❋❋

وبهذه النظرة يمكن ان يعاد تقييم النماذج التى قدمناها ، او قل يمكن ان يقـــال ان تعارضهم معنا لايعنى هبوط مستواهم الفنى ، بل الحق ان اغلبهم مبرز فى فنه ، ويفهم هذا الفن ـ بعيدا عن اى حكم اخلاقى ـ بطاقات جمالية خصبة .

ان من الصعب ان يلتزم اى ناقد كل ما أثر فى النقد من قيم ، واصعب من ذلك ان يقف عند الانطباعية فى اطار الفهم العام فلا يمنح الأثر ماهو بحاجـــة اليه من عنـــاية وتقدير .

❋ ❋ ❋

ومعنى هذا اننا اذا كنا اهدرنا فى الطريق شيئا فللمتابعين حق الرد ، وكذلك اذا كنا اهملنا جوانب فعلى المجدين ان ينبهوا عليها ويشيروا اليها ، فانما النقد محاولات ، ومن يخطئه التوفيق فيها مرة قد لايخطئه ثانية ، والكلمة لمن يحرص على الا يخطىء .

د . احمد كمال زكى

والمؤتفكة أهوى

للدكتور: فؤاد حسنين

اجمعت كتب التفسير على انها مدائن لوط واجمعت ايضا على انها نعتت بهذا اللفظ لانها ائتفكت باهلها اى انقلبت وصار عاليها سافلها . ومادة (أ ف ك) كما جاءتنا فى العربية واخواتها تشير حقا الى الانحراف والانقلاب ، وقد انفرد القرآن الكريم بهذه التسمية وارجح ان مدائن لوط كانت قد اشتهرت بالمؤتفكة منذ عصر النبوة او قبله . ويذهب الفرقان بعيدا ويعلل هذه التسمية ومدلولها فى سورة النجم بقوله «فغشاها ماغشى فباى آلاء ربك تتمارى . هذا نذير من النذر الاولى ازفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة » ..

وليس القرآن الكريم هو أول من عرض لمدائن لوط فقد سبقته اليها التوراة وبعض المؤرخين السابقين أمثال بطلميوس واسترابون وغيرهما . فقد جاء فى الآية العاشرة من الاصحاح الثالث عشر من سفر التكوين أن لوطا اختار الارض الممتدة على نهر الاردن ومن ثم أخذ يتجول شرقا ومعه أهله ومواشيه فى وادى الاردن تجاه الجنوب وأخيرا بنى خيمة فى سدوم . وفى جنوب البحر الميت كانت توجد المروج الخضراء وبخاصة ذلك الوادى الذى اشتهر باسم وادى سديم حيث البحر الميت او المالح . وفى الاصحاح الرابع عشر من السفر ذاته نقرأ خبرا مفاده أن هذا الوادى كان يضم خمس مدن هى سدوم . عموره . ادمه . صبوييم وصوغر . ومن أشهر هذه المدن سدوم وعموره .

اما النكبة التى حلت بالمؤتفكة فقد تعرض لها الاصحاح التاسع عشر من سفر التكوين ايضا حيث نقرأ «واذا اشرقت الشمس على الارض دخل لوط الى صوغر فامطر الله على سدوم وعموره كبريتا ونارا وائتفكهما وسائر المدن وجميع سكانها ونبات الارض ونظرت امراته من ورائه فصارت عمود ملح .. واذا دخان الارض يصعد كدخان الاتون .. »

هذه هى النكبة التى حلت بفلسطين فى تلك العصور الغابرة كما ترويها لنا التوراة ، وقد حيرت هذه الكارثة العلماء فى مختلف العصور فعرض لها استرابون حوالى عام ٢٠ م فقال فى كتابه السادس عشر صحيفة ٧٦٤ — يجب أن نصدق مايرويه اهل البلاد من أنه كانت هناك ثلاث عشرة مدينة آهلة بالسكان ، بقى من عاصمتها سدوم جزء كبير من سورها ، وقد تهدمت بسبب زلزال وتصاعد نيران وقطران حار ومياه كبريتية من البحيرة . وقد التهمت النيران الاحجار ، كما ائتفكت مدن كثيرة وهلك معظم سكانها .

وعرض لهذه النكبة أيضا أمثال بطلميوس وتسيتوس فذكر الاخير انه بالقرب من البحر الميت ازدحم سهل خصيب بكثير من المدن الكبرى ثم حدث ، فيما يروى ، أن شعاعا أحرقها . ويقرر فيلون وفلافيوس الوقائع نفسها . فتاريخية هذه النكبة ثابتة وان كنا نجهل نوعها وتاريخها .

ان التوراة تقرر ان هذه الكارثة وقعت بعد قصة الملوك الخمسة اى ملوك تلك المدن الخمس التى اشتهرت باسم مدائن لوط (التكوين ص ١٤ ى ٢) وقد التقوا فى تل سديم المشرف على البحر المالح واليه ينتسب الوادى الخصيب الذى يضم هذه المدن . وتذكر ابو كريفا التوراة (حكمة سليمان ص ١٠ ى ٦) ان نارا التهمت المدن الخمس والارض الخربة مازالت تنفث الدخان علامة للشر .

والآن نتساءل هل هلكت المدن جميعها حقا أم بعضها فقط ؟ ان سدوم كانت العاصمة واليها وجه كل الاهتمام ، أما عموره التي تذكر دائما مع سدوم فيعتقد بعض العلماء انها لم تكن آهلة بالسكان بل كانت مرجا من المروج المحيطة بالبحر الميت لان لفظ (عموره ـ مغموره) يفيد الارض المغمورة بالمياه .

ويختلف العلماء فيما بينهم حول سبب هذه الكارثة فمنهم من يعتقد ان زلزالا عنيفا قد ائتفكها ويعارض هذا الراى آخرون محتجين بظاهرة الكبريت والنار وهم أميل الى تعليلها بثورة بركانية وبخاصة فحوض الاردن والبحر الميت وماحولهما من المناطق الفلسطينية الغنية بالبراكين الميتة ويقوم في وجه هذا الرأى أن جميع هذه البراكين ظلت منذ آلاف السنين ميتة وقد يصح نظريا أن بركانا منها قد ثار . لكن هذه الثورة يجب ان تترك أثرا من الآثار الجيولوجية وما لم يعثر العلماء الجيولوجيون على هذا الاثر فالاحتمال مرفوض . ويذهب الجيولوجيون بعيدا ويقررون ان هذا الاثر لو وجد يجب أن يرجع الى أوائل الالف الثانى ق.م. وهو الوقت الذى يرجح وقوع الكارثة فيه لكن مثل هذه الآثار لم يعثر عليها بعد ويرجح الجيولوجيون ان ثورانا بركانيا لم تعرفه فلسطين منذ ٤٠٠٠ عام . لذلك يجب أن نبحث عن علة اخرى لهذه الكارثة وهذه العلة يجب ان تقضى على الخلف القائم بين الكتاب المقدس من ناحية وبين أمثال (هرمن جونكل) و (ادوورد ماير) من ناحية أخرى فهؤلاء العلماء يعتقدون ان قصة المؤتفكة اسطورة من أساطير الكتاب المقدس وان مدائن لوط وبخاصة سدوم وعموره من مدن الجزيرة العربية، ومن هناك حملت الفكرة الى فلسطين والواقع انه لراى وجيه وبخاصة فقد نعتها القرآن الكريم نعتا عربيا أصيلا وهذا النعت لم يكن مستحدثا بل المتمكن الامكن فى تراثنا العربى القديم واذا علمنا ان الجزيرة فيها كثير من الحرات كما تعرضت لكثير من الهزات والاضطرابات الارضية قبل الاسلام وبعده وبخاصة بالقرب من المدينة وفى جبل الطير وبعض الجزر الصغيرة الا أن بركانا واحدا لم يثر فى العصر التاريخى أو ان ثار لم يخلف أثرا فعالا مدمرا كذلك الذى أصاب سدوم وعموره .



فهذه الخلافات بين العلماء من ناحية وبين رواية الكتاب المقدس من ناحية أخرى تركت الباب مفتوحا أمام علماء طبقات الارض فتباروا جادين وفى فلسطين ذاتها حيث نجد الجيولوجى الالمانى (مكس بلنكنهورن) ينصرف الى دراسة تاريخ البحر الميت فينتهى به البحث الى أن هذه البحيرة المالحة قد ظهرت الى الوجود كنتيجة طبيعية لهذه الاضطرابات الارضية التى انتابت شرق القارة الافريقية فبعثت لنا الى الوجود هذه الاخاديد واستتبع ظهورها انفلاق الارض عن هذا الاخدود العظيم الممتد من بحيرة نياسا حتى الشام فضلا عن كثير من البراكين والبحيرات الكبرى فى شرق افريقيا ثم البحر الاحمر والبحر الميت وبحيرة الجليل وطبرية وقد كونت فى أول أمرها مع البحر الميت وحدة مائية • واذا علمنا أن البحر الميت اليوم يغور مسافة تقدر بنحو ٧٩٣ مترا تحت سطح البحر والبحر ذاته ٣٩٤ مترا ويبلغ طوله نحو ٧٨ كيلومترا وعرضه ٢٧ كيلومترا وعمقه ٣٩٩ مترا ولا يصب فيه الا نهر الاردن قدرنا درجة ملوحة مياهه التى تساوى ستة أمثال الملوحة المعروفة فى سائر البحار ، كما انه لا يوجد به كائن حى ومن هنا سمى البحر الميت •

والبحر الميت لم ينشأ دفعة واحدة كما هو مشاهد اليوم بل هناك الجزء الجنوبى منه الممتد جنوب شبه جزيرة اللسان حتى النهاية حيث يتفاوت عمق مياهه بين المتر والستة أمتار • وهذا الجزء كان أرضا ثم غمرتها المياه تدريجيا نتيجة لهزة أرضية •

وهذه هى قصة سدوم وعموره •

أما فيما يتعلق بالمياه الكبريتية والنيران فالثابت حتى اليوم أن هذه المنطقة غنية بالعيون الساخنة والمياه الكبريتية والغازية وبعض المعادن الاخرى والتى ولاشك قد قذف بها البركان لما ثار وحتى يومنا هذا يوجد على الشاطىء الجنوبى للبحر الميت نبع يقصده الزوار لكثرة احتوائه على المواد الكبريتية . فاذا ما أخذنا جميع هذه العوامل بعين الاعتبار أدركنا مدى اهمية وصف استرابون لهذه الكارثة وهو وصف ادق وأشمل مما جاء فى الكتاب المقدس فالسماء لم تمطر نارا وكبريتا بل كما يذكر استرابون انطلاق من الاخاديد لخليط من الغازات التى لاتلبث أن تلتهب اذا ما لامست نارا • وهذه الغازات تبدو فى الظلام وكأنها نار وفى النهار دخان وهكذا تقول التوراة «لقد خرج دخان من الارض كما يخرج من الاتون» .

وسواء صحت آراء أولئك أو هؤلاء فيما يتصل بطبيعة الكارثة او ان المؤتفكة فى داخل الجزيرة العربية او على حدودها الشمالية فى فلسطين فهذه لن تغير شيئا من صحة ماذهب اليه القرآن الكريم ، لكن الشيء الجدير بالملاحظة هو ، كما اشرت سابقا ، اطلاق لفظ مؤتفكة على مدائن لوط فاستخدام هذا اللفظ الذى لاشك فى أصالته العربية وقدمه دليل قوى على تأصل اللغة العربية القرآنية وتغلغلها البعيد حتى فلسطين مما يؤيد أن هذا الصقع العربى لم يخل يوما من الايام من العرب لغة وجنسا وقد حفظت لنا المصادر التاريخية المختلفة كثيرا من النصوص التى تذكر العرب عنصرا خاصا من العناصر المستوطنة لفلسطين ، وهؤلاء العرب لم يعيشوا على هامش الحياة بل شاركوا وساهموا فى الحياتين الدينية والاجتماعية لفلسطين . فالتاريخ يحدثنا أن العمالقة والقينيين



والداداتيين والمدينيين وغيرهم من القبائل العربية استوطنوا فلسطين قبل نزوح العبريين اليها . ويحدثنا التاريخ الدينى أن العرب المدينيين كانوا من رعايا الدولة المعينية التى امتد سلطانها حتى شمال الجزيرة وبلغ غزة والدولة المعينية هى الدولة صاحبة الثقافة الرفيعة التى بلغت أوجها فى الالف الثانى ق.م. والثقافة المعينية هى التى اثرت فى العبريين ثقافيا ودينيا فالتوراة تحدثنا كيف أن موسى لما هرب من مصر لجأ الى المدينيين واتصل بكبير كهنتهم (يثرو) والذى كان سادنا لبيت من بيوت العبادة المدينية المعينية وشبيه الكعبة شأنه شأن جبل حورب الموضع المدينى المقدس والذى استقبل فيه موسى الوحى .

وتحدثنا التوراة أيضا ؛ أن موسى تلقى كثيرا من الارشادات من (يثرو) كما أن كريمته (صبورا) التى اقترن بها موسى قامت بدور هام فى الطقوس العبرية . وبعد أن دالت دولة المعينيين سياسيا ورثتها سبأ فواصلت رسالتها فنجد قصة ملكة سبأ كما يعتبر سفر أيوب من أروع الآثار الادبية التى ترجع الى تلك الفترة . وظل الاثر العربى يتغلغل فى فلسطين حتى ظهرت بواكير الادب العبرى القديم وهى تحمل الشىء الكثير من خصائص العقلية العربية الفنية شعرا او نثرا فنحن نجد صورا عربية وخيالا عربيا وتشبيهات عربية وان العالم الخبير بالادبين العربى الجاهلى والعبرى القديم يدرك لاول وهلة الصلة القوية بين الادبين .

وهذه الرابطة القوية بين ربوع الجزيرة جعلت ولاشك جميع ماوصلنا من قصص وادب وعقائد ملكا عربيا مشاعا وكل مافى الامر أن بعض هذا التراث قد سجل فى الشمال والآخر فى الجنوب او شرق الجزيرة أو غربها وقلبها حسب الظروف الاجتماعية والثقافية لهذه الربوع المختلفة وليس معنى هذا أن ماوصلنا هو كل مخلفات العرب الاقدمين فمن يدرى ماذا يخبىء قلب الجزيرة لنا مثلا من كنوز أثرية قد تغير كثيرا من احكامنا على تاريخ حضارتنا العربية فمن كان يجول بخاطره مثلا أن عربا فلسطينيين عاصروا السيد المسيح وشاهدوا رسالته ومعجزاته (راجع اعمال الرسل ص ٢ ى ١١) وقليلون جدا من يعرفون أن بولس الرسول مثبت دعائم المسيحية واكبر دعاتها لم يستمد قوته الروحية المسيحية من اورشليم بل من قلب بلاد العرب كما اعترف هو بذلك فى رسالته الى اهل غلاطية (ص ١ ى ١٦ وما بعدها) حيث نقرأ «أن يعلن ابنه فى لابشر به بين الامم للوقت لم استشر لحما ودما ولاصعدت الى أورشليم الى الرسل الذين قبلى بل انطلقت الى بلاد العرب ثم رجعت أيضا الى دمشق » .. **فبلاد العرب الأصيلة لا فلسطين هى مصدر هداية بولس الرسول الى المسيحية مما يثبت مدى قوة الحياة الروحية العربية فى ذلك الوقت من ناحية والعلاقات القوية بين قلب الجزيره وشمالها من ناحية اخرى .**

فقصة المؤتفكة وما يتصل بها من عبر وامثال وكذلك سائر الاخبار الواردة فى القرآن الكريم سواء منها ما يتصل بالاباء الاولين او الانبياء السابقين وما جرى على ايديهم من اعمال لن تقوم دليلا على ان الاسلام اقتبس شيئا عقائديا عن اليهودية والمسيحية كما يحلو للبعض ان يدعى هذا وكل ما فى الامر ان الاسلام دين عربى اولا اعنى دين تتمثل فيه الروحانية العربية منذ اقدم عصورها وفى مختلف اجزاء الوطن العربى فاذا ما عرض للعهدين القديم والجديد فهو مؤرخ للاطوار المختلفة التى مرت بها العقيدة العربية من لاهوتية الهية الى ناسوتية بشرية مع توكيد قدم الاسلام واصالته فى مختلف هذه العقائد ففى اكثر من موضع يقول تعالى : ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك .. اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين .. ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون .. والاسلام عربى محمدى ثانيا لان الوحى المحمدى استكمل هذا الدين العربى القديم وطهره من بعض العقائد الشعبية التى علقت به وفى ذلك يقول تعالى : واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .

دكتور فؤاد حسنين على

الإسلام وحرية التفكير والاعتقاد

بقلم: محمد محمد المدني

بينما كان قادة الأديان قبل الاسلام يحرمون على الناس أن يفكروا أو يعرضوا المقررات الدينية على العقول لتنظر فيها ، أو تعرف منطقها ، أو توجه اليها أى لون من ألوان النقد أو الفحص .

وبينما كان الذين يتجرءون على التفكير ومخالفة المألوف من الأحكام والقضايا فى شئون الدين أو الدنيا ، يحرقون بالنار ، ويصلبون فى جذوع الأشجار ، ويسلكون فى عداد الكفرة المارقين .

وبينما كان الناس يعتقدون أن الدين والعلم لا يلتقيان ، وأن هناك تنافرا أساسيا بين أهل الدين وأرباب الفكر ...

اذا بالعالم ، يوم أشرقت شمس الاسلام ، يسمع رجلا عربيا من الأميين ، ينادى بدعوة تلقاها وهو فى غار سحيق ، أساسها حرية البحث والنظر ، وتمجيد العلم والمعرفة ، ولفت الأنظار الى أعظم سفير بين العقول والأفكار ، وهو « **القلم** » ، والاشادة والتبشير بماضى الانسان وحاضره ومستقبله فى ظلال حرية التفكير ، والنزول على حكم العقل والمنطق ، وذلك كله فى كلمات قصار كانت هى أول ما نزل من القرآن الكريم ، على خاتم النبيين والمرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** » .

انها نغمة جديدة لم يسمعها العالم من قبل ...

انها اعتراف جرىء بحق العقل الانسانى فى أن يفرض نفسه على كل نواحى التفكير ، وفى أن يدخل كل مجال من مجالات البحث والنظر والعلم والتطلع الى اكتشاف المجهول ...

انها ثورة على القيود والأغلال التى طالما رسف العقل الانسانى فيها ، واحتمل أثقالها .

ولقد كانت هذه الكلمات القليلة ، والجمل القصيرة بمثابة عنوان واضح منبىء عن فلسفة هذا الدين الخالد ، وعن طبيعة ما جاء به من العقائد والأحكام التى لا يمكن أن تخشى العلم ، أو تنفر من حكم العقل ، أو تنكمش متخفية عن الأنظار ضآلة أو استحياء ، أو مذلة أو استخذاء .

وتوالت بعد ذلك آيات القرآن الكريم تطلب من الناس التدبر والتعقل ، والتفكر فيما خلق الله من شىء ، والنظر والبحث ، واتباع الحجة والبرهان ، والازراء والنعى على المتكلفين والمتعصبين والعمى عن الهدى والمتعامين ، والجامدين والمقلدين .

توالت آيات القرآن الكريم فى ذلك على نحو لم يعهد فى كتاب دينى من قبل ، بل لا يكاد يعرف فى كتاب أو منهج ثورى بشرى عرفه الناس ، بعد تقدم المدنيات والحضارات ،وانشاء هيئات الأمم ، ومنظمات الحرية العالمية .

• ولقد كان من أهم المبادىء الأساسية التى أعلنها الاسلام : أن الانسان حر فى عقيدته الدينية ، له أن يعتنق ما شاء بواسع حريته ، متحملا تبعة اختياره ، ليس محاسبا على ذلك الا أمام الله الذى خلقه .

وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« **لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى** »

« **أفأنت تكره الناس ، حتى يكونوا مؤمنين** »

« **انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر ، الا من تولى وكفر ، فيعذبه الله العذاب الأكبر ، ان الينا ايابهم ، ثم ان علينا حسابهم** » .

فمهمة الرسول صلى الله عليه وسلم منحصرة فى التذكير والبيان ، وليس منها السيطرة والاكراه على الايمان ، لكن من تولى عن الحق ، وكفر بالله مع

وضوح الأدلة وقيام البرهان العقلي على وجوده ؛ فان الله يعذبه ، وكما أن اياب الخلق - أي رجوعهم بعد الموت .. انما هو الى الله وحده ، فحسابهم انما هو على الله وحده .

وكذلك يقول الله جل شأنه معلما رسوله أن يخلي بين الناس وما يختارون لأنفسهم بمقتضى تفكيرهم وما ترتضيه عقولهم :

« وقل الحق من ربكم ، فمن شاء ، فليؤمن ومن شاء فليكفر »

« كلا انها تذكرة ، فمن شاء ذكره »

« ومن كفر فلا يحزنك كفره »

« ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربي غني كريم » .

فكل هذه الآيات الكريمة تقرر حرية الانسان في عقيدته الدينية ، وأنه مسئول أمام الله فقط عما يعتقد ، وليس لأحد من المخلوقين سلطان عليه في هذا الشأن .

ومنطق الاسلام في تقريره لهذا المبدأ ؛ هو المنطق الفطري الطبيعي ، فما كانت العقائد لتفرض بالاكراه ، وما كانت القلوب لترغم كما ترغم الأجساد وما الاكراه على العقيدة الا لون من ألوان المغالطة ، يلتمسه العاجز عن الاقناع ، حيث يعتبر الظاهر الذي تفرضه القوة والجبروت ، حقيقة وما هو بحقيقة ، وقد أنبأنا الله تعالى بأنه لا يقبل ايمان المخادعين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، فقال جل شأنه « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون » .

***

• ولم يكن تشريع القتال في الاسلام الا لكفالة حرية الاعتقاد ، فان دعوة الحق لما واجهت المشركين عبدة الأوثان ، بنورها المبين ؛ وجدوها واضحة قوية ، تغزو العقول ، وتملأ القلوب ، فقرروا أن يقاوموها بأحداث الفتن ، ومحاولة زلزلة المؤمنين ، وتعذيبهم ، ومقاطعتهم ، واجلائهم عن ديارهم وبلادهم ، فهم الذين كانوا يحولون بين الناس وحريتهم في اعتناق ما اطمأنت اليه قلوبهم ،وأدركته عقولهم ؛

فهذا بلال يطرح على البطحاء ، وقد حميت الظهيرة ، واشتد لهب الشمس ، فيضجع على ظهره ، وتوضع الصخرة العظيمة فوق صدره ، ويهدد بأن يبقى على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد ويعبد اللات والعزى .

وكذلك كانوا يفعلون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بهم وهم في هذا العذاب ، فيقول لهم « صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة » وبلغ بهم الجبروت أن قتلوا أم عمار ، لأنها أبت أن ترجع عن الاسلام .

وكان الحكم بن العاصي يتربص للنبي صلى الله عليه وسلم ويشتمه ويمشي وراءه ساخرا منه ، وكانت أم جميل زوجة أبي لهب تلقى الأقذار عامدة في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كان زوجها أبو لهب يعترضه ويؤذيه ويتحداه ، وهو الذي قال له حين جمع عشيرته الأقربين بأمر ربه لينذرهم : تبا لك ألهذا جمعتنا ، وقد أنزل الله فيه وفي امرأته قوله « تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد » .

ولما ذهب صلى الله عليه وسلم الى الطائف ليعرض على أهلها دعوة الحق ، استقبلوه أسوأ استقبال ، وأخرجوه من بلدهم شر اخراج ، وهو يقول داعيا ربه « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

وهذا الدعاء النبوي القوي الحزين ، يدل على مبلغ ما وصل اليه أمر المشركين في ايذاء الرسول الأمين .

فهل كان من المنطق الطبيعي أن يترك هؤلاء المعتدون ليفتنوا المؤمنين بمختلف أساليب الاضطهاد والتعذيب ؟ كلا ، فان الله تعالى يصف المؤمنين بقوله «والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون» ويقول «ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم » .

ولذلك شرع الله القتال دفاعا عن حرية هؤلاء المعذبين المضطهدين ، والآية الكريمة التي شرعته تقرر ذلك في وضوح حيث تقول :

« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولو دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

والقرآن الكريم يقرر أن غاية القتال التى ينتهى عندها هى زوال الفتنة فى الدين ، وانتفاء الضغط والاكراه ، حتى تستقر الحرية الدينية ، وذلك حيث يقول الله عز وجل :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » .

ويجعل القتال ردا على العدوان ، ناهيا عن التجاوز به عن الغرض منه ، وذلك حيث يقول الله عز وجل :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين » .

« الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

ويأمر بايثار الصلح اذا مال اليه الأعداء ، وذلك حيث يقول الله جل شأنه :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

« فان انتهوا فان الله غفور رحيم » .

« فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »

ويقرر ـ على سبيل الموازنة بين أهداف المؤمنين، وأهداف الكافرين ـ أن الأولين يقاتلون فى سبيل الله ، والآخرين يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، وذلك حيث يقول الله عز وجل :

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ، وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ، الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وسبيل الله : كل فضيلة ، وكل عدل وحق ، وكل انصاف وبر ، وكل حماية للحرية والحقوق الانسانية .

أما الطاغوت فكل ميل عن الحق والعدل ، وكل جبروت وظلم ، وكل سير مع الأهواء ودوافع الشر والاثم .

والمؤمنون من أجل ذلك قوة لا تقهر ، لأنهم يقاتلون فى سبيل الحق أعداء الحق ، وفى سبيل الحرية أعداء الحرية ، فهم يقاتلون قتالا مكسوبا معروف النهاية ، كما هو معروف الهدف والغاية ، مضمون النصر « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » .

أما أعداؤهم فهم الجانب الأضعف بالباطل، وبأنهم أولياء الشيطان « **ان كيد الشيطان كان** ضعيفا » .

كل ذلك يدل على أن هدف الاسلام من القتال دفاعى لاهجومى ، وأنه لا اكراه على الدين ، وان الاسلام انما يقاتل فى سبيل مثل عليا ، وفى سبيل حرية الضعفاء والمستضعفين ، وانه يعتبر السلم هو العلاقة الدائمة بين الناس ، فلا ينزع عنه الا مضطرا ويعود اليه راضيا اذا عاد اليه الذين ناوءوه وأمن فتنتهم ، وأنه يعتبر الجهاد لونا من ألوان التضامن والكفاح فى سبيل أمن المجتمع وحريته والمثل العليا التى يجب أن تعلو فى الناس .

وبهذا يظهر تقدير الاسلام للحرية ، وحرصه على الدفاع عنها ، حتى فى قضية الدين والايمان التى هى أعز قضية تعرفها الأديان .

وقد تفرع عن هذا التقدير للحرية كل دفاع أمر الله به عن الحقوق الانسانية ، وعن عزة الأفراد وكرامتهم ، وعن حقوق الشعوب فى أن تدافع عن نفسها وعن بلادها ، وان تجاهد المستعمرين والغاصبين ، حتى تعيش كريمة على نفسها ، عزيزة فى وطنها .

« ولله العزة ، ولرسوله ، وللمؤمنين » .

« محمد محمد المدنى »

الزورق الحائر

للشاعرة : روحية القليني



أنا حائر والريح تعصف بى بلا رفق ولين
والمرج يعبث بى هنا وهناك فى طيش الجنون !
وأنا على الحالين فى شوق الى الشط الأمين !!
من ذا الذى يدرى أساى ويستجيب الى الأنين ؟!
وبساعدين يضمنى فى لهفة الأم الحنون

***

أنا حائر جار الزمان على حياتى المستقره
جمعت بى الأنواء فاستسلمت للأمواج مره
وتبعتها كالطفل أسلم للذى أغراه أمره
فاذا أنا بين العواصف والرياح المستمره
حيران روحى كم تحن لربوة كانت مقره

***

هل يا ترى يوما سارسو فوق شط الأمنين ؟
ويرق قلب الريح يسلمنى لدنيا الحالمين ؟!
وتكف راحته التى عبثت بوادى الوادعين ؟!
ويفئ بعد ظلامه فجر بليل الساهرين ؟!
فأعود أنعم بعد ليلاتى الشريدة بالسكون !!

***

أنا حائر فى الموج قد ضلت خطاى العاثره
والحظ لم يرحم على الأيام أمسى وحاضره
وحدى مع الأمواج ترمقنى بعين ساخره
وتلفنى فى قسوة طى المياه الهادرة
مترنح الأعطاف أرنو للنجوم الساهره

***

أنا ها هنا سأظل أكتم آهة حرى بصدرى
لا لن أبوح وان وان تعبت بلوعتى أبدا وسرى
الفجر خاصمنى وأسلم للدجى بالقدر أمرى
أنا لست أدرى سر هذا القدر بل لم أدر عذرى ؟!
كل الذى أدريه أن الحظ يستهويه هجرى !!!

« روحية القليني »

لقاء معهم

تأليف : كامل الشناوى



بقلم : علاء الدين وحيد

ليت كل صاحب قلم يستشعر مسئولية النشر كما يفعل كامل الشناوى الذى بجلس على احدى قمم الصحافة فى بلادنا منذ عشرات السنين ، ورغم ذلك يتحرج من أن يخرج الى الناس كتابا . ولم يفعل الا أخيرا جدا وبعد ان نفد صبر القارىء مرات !

ويتناول كاتبنا فى « لقاء معهم » عشر شخصيات عربية ومصرية . بعضها عرفه عن طريق فنها وفكرها ومواقفها مثل ، جمال الدين الافغانى ، محمود سامى البارودى ، عبد الرحمن الكواكبى ، قاسم امين ، اسماعيل صبرى ، سيد درويش . والبعض الآخر من الشخصيات مثل ، احمد شوقى ، مصطفى عبد الرازق ، على مصطفى مشرفة ، احمد لطفى السيد ، اشتركت مع وسائل المعرفة السابقة ، صداقته الشخصية لهم .



ما زال فن ترجمة الحياة العربى قاصرا عن أن يبلغ شيئا ، ولعل سبب ذلك هو الكتمان الشديد الذى تتسربل به الشخصية الشرقية وتخفى به أمورها الخاصة . يتساوى فى ذلك الرجل المتحرر ونقيضه الرجعى . فالثقافة لم تستطع بعد ان تغير أعماقنا التى تنتمى الى عصور الحريم وتبتر زوائدها المتقيحة التى تنفث سمومها فى الجسد الحى . ولذلك كانت المهمة الملقاة على من يتناول شخصية ما كبيرة ، صعبة ومحفوفة بالمخاطر واقلها التخبط فى التفسير والتعليل وسط هذه الظلمة .

وقد حاول كامل الشناوى أن يقوم بواجبه فى هذا المجال كتبرير لتناوله الحديث عن موضوعات قديمة كثر القول فيها والكتابة عنها ٠ ومما لا شك فيه ان كاتبنا وفق الى حد ما ، ولكن ليس الى درجة كبيرة، ولا يعنى هذا بالطبع أنه كان يجب أن يتعمل لينتهى الى حلول متكلفة فى تفسير ماغمض ، وكشف ما استبهم من دقائق حياة شخصياته ، بل تعنى انه لم يبذل جهده كله فى دراسة هذه النواحى وبحثها ٠ كانتماء اسماعيل صبرى مثلا الى عائلة فقيرة ، والعلاقة ـ التى وصفها المؤلف بالغموض ـ التى كانت بينه وبين سعد زغلول ٠

وتعرض مؤلفنا فى تناوله لسيد درويش لمناقشة شذوذ الموسيقار المجدد فى صلته بالناس ٠ فقد كان مثلا يألف وينفر بمن يلتقى بهم بلا سبب ظاهر او منطق واضح مفهوم ، فكان تخبطه المعروف فى تكوين الصداقات من الجنسين ٠ ويحاول الشناوى ان يعطى لبواعث هذه الظاهرة حدودا أدق مما يثار حول (شذوذ الفنانين) ٠ فيرجع بعض أسبابها الى طبيعة سيد درويش (الميناتية) « **فأبناء البلاد ذات** الموانىء يقيمون علاقاتهم بالناس على أساس الشعور المفاجىء ، لأنهم يعرفون الناس فجأة ٠٠ يفاجأون بهم وهم قادمون ٠٠ ويفاجأون وهم راحلون ٠٠ » ! (ص ٦٩) ٠

ولا يملك المؤلف حين يترجم لاحدى الشخصيات وآرائها ، ان يمنع الكلمات من أن تشى بافكاره هو أيضا أثناء السياق مهما حاول من موضوعية ٠ ولقد عكس (لقاء معهم) بالطبع هذه الظاهرة ، فعرف القارىء خاص راى كامل الشناوى فى موضوعات كثيرة فى الحياة والفن ٠ ومن اللون الأخير حديثه عن الموهبة « ان الموهبة التى لا يصقلها العلم ، والثقافة ، والدراسة ٠٠ قد تنطلق منها شرارة تلفت النظر ، ولكن لا تندلع منها نار تثير الفكر ٠

٠٠ واذا شبهنا الموهبة ببئر البترول ، فان الثقافة هى معامل تكرير البترول ، وبغير هذا التكرير لا يمكن ان نستغل البترول فى تسيير الطيارات ، والسيارات » (ص ٨٧) ٠

***



من أروع أجزاء الكتاب ان لم يكن اروعها ، هذا الفصل الذى تحدث فيه الشناوى عن قاسم امين ٠ فمؤلفنا هنا فى أحسن حالاته ، يحيط بالشخصية من جميع جوانبها متغلغلا فيها باحثا أدق خلجاتها ، فى عرض مشوق جذاب ممتاز يملك على القارىء لبه٠ منذ بداه والزائر المقتحم على قاسم امين بيته طالبا امرأته لتخرج معه ! وقد ظن ان الدعوة الى تحرير المرأة والقضاء على الحجاب التى ينادى بها صاحب المنزل ليست الا تشجيعا على الانحلال والتهتك ! الى اشارة المؤلف فى نهاية فصله الى تحول بيت قاسم امين بعد أن باعته ورثته الى كباريه ليلى ! متناولا بين المقدمة والخاتمة جهود الاصلاحى الكبير فى ميادين القضاء وتحرير الانسان والتعليم ، فى دقة واضحة ٠

ومن الطريف ان يلاحظ القارىء أن اهتمام المؤلف الشاعر بالشعراء الذين عرض لهم ـ باستثناء شوقى ـ كان أقل من عنايته بالشخصيات الأخرى كما وكيفا أيضا ! ويخيل الى أنه لا دخل لشاعرية شوقى المجردة فى اهتمام الشناوى البالغ به ، فالصداقة الوطيدة التى تربط بين الاثنين واعجاب المؤلف بشخصية الآخر ، حمله على أن يطيل فى الكتابة عنه ، فيتحدث عنه فى سبعة مواضع مميزة معنونة هى ، مسرحيات شوقى وهل هى لشوقى ـ وطنية شوقى ـ شوقى وحافظ ـ ذكريات عن الشاعر الخالد فى يوم ذكراه ـ شاعرنا الخالد فى حديقة الخالدين ـ مؤلفات شوقى ـ الفنان الذى قال كلمته ولم يمش ٠

وفى هذا الموضع من الكتاب يحس القارىء أكثر من اى وقت مضى ، انه ليس فى حاجة الى علم سابق او بعد نظر او حس نقدى ليدرك أن (لقاء معهم) مجموعة من الفصول القصار واليوميات التى نشرت



متفرقة فى الصحف لا يجمع بينها رابط الا ان كاتبها شخص واحد • وقد أدى هذا الى أن يفقد الكتاب وحدته العضوية •• هذا الخيط الجامع الذى يعطى للفصول ملامح متناسقة لوجه واحد مختلف الخطوط، كما عمل على أن تتكرر نفس اللقطات فى تناول الشخصية الواحدة كما حدث هنا بالنسبة الى أحمد شوقى • والسبب أن المؤلف لم يلتفت الى أنه كتبها فى الصحف فى أوقات غير متصلة ـ وفى لحظات نفسية مختلفة أيضا ـ مكررا بعض لمساتها التى تركها كما هى عندما نقلها الى الكتاب •

وفى الحديث عن احمد لطفى السيد يفتقد القارىء شيئا هاما ، فهو اذ اتفق مع كاتبه على أن الفكر قمة لطفى السيد الكبرى او احدى قممه ، فهو يختلف معه فى أن هذه الميزة تشجب ما عداها ، ويجب تجاهل جوانب أخرى فى غاية الأهمية مثل لطفى السيد السياسى وعلاقته بالانجليز • ويبدو هذا الموقف غريبا وخاصة من مؤلف (لقاء معهم) الذى اهتم بالخط السياسى ودور الشخصية فيه فى كل فصول كتابه بلا استثناء • ان هذا الموقف الذى يكاد يكون مريبا ـ لا بالنسبة الى كامل الشناوى فحسب بل الى كثيرين غيره أيضا ـ نجده تيارا غامرا غالبا عند الحديث عن عظمائنا ـ وخاصة الذين نضعهم فى مكان يشبه القداسة ـ وصلتهم الحقيقية بالانجليز ، وبالذات عندما لا تكون هذه الصلات فوق مستوى الشبهات من وجهة النظر الوطنية الخالصة، أو على الأقل مثار الأقاويل •

لقد كانت الشخصية التى تستحوذ على هذا الموقف المريب من الكتاب ، هى شخصية الشيخ محمد عبده وعلاقته بالمحتلين • ولكن هاهى شخصية أخرى تشاركه الميدان وتصفع القارىء فى كل آن مؤكدة أن طمس الحقائق فعل يسير !

ومن الطريف المتناقض معا أن يحدث هذا وكل من الشخصيتين ،محمد عبده ولطفى السيد ، من الذين نادوا باخلاص بحرية الرأى وتقديسه !!

اتبع الشناوى منهجا تحليليا فى تناول ما عرض من شخصيات ، حاول أن يفسر به ما اعتمل فى نفسية الشخصية وتظهر ترجمته فى سلوكها ومظهرها ومدى الارتباط الوثيق الذى بينها وبين البيئة ـ هذا العنصر الذى يعطى له أهمية بالغة • ومن لقطات كامل الشناوى التحليلية المعبرة ، اشارته الى قلة ما حصل عليه سيد درويش من ثقافة وصلة



كامل الشناوى كما لا يعرفه الناس

ذلك باتناجه الغزير « **كان فى هذا التاريخ ـ عام ١٩١٧ ـ قد اطمأن الى موهبته وكان انتاجه الفنى غزيرا • كانت الفكرة تنبض فى راسه وتخرج فورا لانها لا ترتطم بافكار اخرى •• فان موهبته أكثر من معلوماته** » (ص ٧٣) •

❋ ❋

ومن النواحى الجيدة التى استطاع المؤلف تفسيرها مثلا فى تاريخ حياة الشخصية ، انضمام جمال الدين الافغانى الى الماسونية • والتناقض الظاهرى بين حدة عبد الرحمن الكواكبى فى التعبير عن آرائه الثورية وبين حرصه على مهاجمة الاستبداد فى اطار قانونى !

واذا كان مؤلفنا قد تناول بعض الشخصيات دارسا اياها مستوعبا شخصياتها بدقة ، مثل سيد درويش ، فقد عرض للبعض الآخر بسرعة أكثر من عادية بحيث لم تلتقط نظرة القارىء الا أشياء كلية لا تستبين فيها الملامح الدقيقة • مثل شخصية محمود سامى البارودى فى فصل (شاعر الثورة) • وقد كان العنوان نفسه خادعا ، واذ أشار المؤلف الى الثورة العرابية فى سطور قليلة جدا ، فهو لم يلتفت الى شاعرها بالمرة ! أعنى ما قاله البارودى فى ذات الثورة !

وبالمثل صورة الدكتور على مصطفى مشرفة التى جاءت أقرب الى الدردشة الخفيفة •

وفى بعض الاحيان يكون كاتبنا أميل الى سرد ذكرياته منه الى الدراسة الموضوعية • ويبدو هذا بوضوح فى الشخصيات التى اتصل بها اتصالا شخصيا كأحمد شوقى •فعندما يكتب عن مسرحيات شوقى وهل هى له ، ويذكر (المهندس الفنى) الذى استعان به أمير الشعراء فى بنائها وهو الدكتور سعيد عبده • لا يحاول أن يلقى ضوءا كافيا على عمل سعيد عبده ، بل يتحول الى ذكر مواقفه هو اى كامل الشناوى فى هـذا الميدان وكيف أخذ شوقى ببعض اقتراحاته • ان الحديث عن جهد سعيد عبده فى مسرحيات شوقى يكاد يكون مجهولا تماما ، فكان هذا هو الوضع الملائم لهذه المناسبة • ولكن المؤلف رفض أن يترك لنفسه خلفية الصورة !

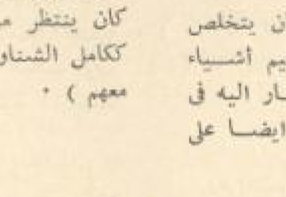
ولم يستطع كامل الشناوى أحيانا أن يتخلص مما تعمد اليه الصحافة من اثارة وتضخيم أشياء وتعبير كاريكاتورى ، معتمدا على ما أشار اليه فى مقدمة كتابه من ان (لقاء معهم) يعمل ايضا على « الكشف عن حقائق مجهولة » فى حيوات شخوصه• فعندما يتحدث مثلا عن محاولة الشيخ محمد عبده قتل الخديو اسماعيل بنفسه ! (ص ١٣) يذكر ذلك عرضا وبسرعة ثم يسكت !

***

ما اكثر الذين يذهبون الى ان الصحافة والادب نقيضان لا يجتمعان • ورغم ذلك فمما لا شك فيه أن هناك دائما قلة نجحت فى أن تجمع بين الفنين، ومن هذه القلة عندنا كامل الشناوى الأديب الشاعر الذى عمل بالصحافة فلم تستطع ان تؤقلمه تماما• وكان أول مظهر لهذا التوازن ، وضع اللفظة فى نسيجه الكتابى • فهى ليست سطحية فوتغرافية ضحلة ولكنها رشيقة عميقة • لقد وجد فى الرشاقة المتعمقة عوضا عما تتطلبه الصحافة من سريع المتابعة، ولم يقف جهد الشناوى فى مجال الكلمة عن هذا الحد ، فقد وفق فى ان يمتلك ناصية اسلوب مميز لم يذب فى بقية الاساليب ، لانه يحمل مقومات الاساليب الجيدة المتفردة • واهم ما يتسم به قوته وجزالته ودقته ورقته ، وفصول (لقاء معهم) تحتشد بتعابيره الراقصة فى غير خفة فارغة ، مثل قوله على لسان الافغانى ، ان الملك يمكن أن يكون عادلا •• اذا أصبح تاجه بلا رأس ، وأصبح رأسه بلا تاج ! » (ص ١٦) •

وجهة النظر الجديدة هى الاعتذار الأول الذى يقدمه المؤلف الذى يتناول موضوعات أو شخصيات مطروقة كثر القول فيها حتى ابتذل • فاذا انتفى ذلك أحس القارىء بما يشبه الصدمة وخاصة ممن كان ينتظر من مستواه الكبير أن يبلغ آفاقا عالية ككامل الشناوى • وهذا هو التأثير الغالب لـ (لقاء معهم) •

علاء الدين وحيد



من قضايا السرقات الأدبية

قصة سودانية بين غراب و مراد

بقلم: محمد نصر


امين يوسف غراب


دكتور مراد كامل

قبل شهر مضى كتبت مقالا فى هـذا المكان عن السرقات الأدبية عرضت فيه للقضية التى حكم فيها لورثة المرحوم الشاعر على الجارم ضد الأديب الدمشقى ظافر الصابونى ، والاذاعة فى نفس الوقت ٠٠ وذلك بعد أن ثبت للمحكمة أن هناك عملية سطو تمت فعلا ـ مع سبق الاصرار ـ على كتاب الجارم المعروف باسم فارس بن حمدان ٠ !

وتساءلت يومها : هل من حق أى كاتب أن يتناول شخصية عظيم من عظماء التاريخ بالكتابة بعد أن سبقه اليها مؤرخ أو كاتب آخر ٠ ؟

والى متى يظل انتاج العقول الذكية نهبا مشاعا لخطافى الاذاعة أو التليفزيون ؟ ثم وعدت القراء بأن اكشف لهم الستار عن بعض السرقات الأدبية الأخرى التى ما تزال تشغل أذهان الكثيرين من العاملين فى الحقل الأدبى ٠ !

وقبل مرور اسبوع تلقيت رسائل كثيرة يحدد فيها أصحابها أسماء شخصيات

مرموقة ، في ميادينها ، لو صح ما قيل عنها لفقدت الشيء الكثير من تقدير الناس واحترام القراء .. ولهبط أصحابها الى القاع .. غير ماسوف عليهم . !

ولقد كان من بين رسائل القراء رسالة طلب فيها كاتبها أن نحدد له موقف كاتب قصة معروف نقل قصة سودانية « نقل مسطرة » من كتاب صدر منذ عام بعنوان « قصص سودانية » للدكتور مراد كامل .. عضو المجمع اللغوى ورئيس قسم اللغات السامية بآداب القاهرة .. نقلها ونشرها في مجلة القصة الصادرة في فبراير من هذا العام تحت عنوان « المرأة والأسد » .. ثم عاد ونشر نفس القصة بعنوان « امرأة غير مفهومة » ضمن مجموعة قصص صدرت له أخيرا بهذا الاسم . !

** **

هاتى القصص الثلاث!

وقد لوحظ فى بعض الرسائل الأخرى شدة حيرة أصحابها وما يعانونه من بلبلة فكرية عندما تصادفهم مثل هذه الحالة المثيرة .

صحيح أن من حق أى كاتب أن يقتبس من الاساطير القديمة ، أو يعيد تناولها بأسلوب معاصر .. ولكن يجب عليه أن يحرص على النص الأدبى ، فلا يضيف اليه الا ما يزيده قوة وخلودا .. ولكن ليس من حقه أن يخدع القراء ويدعى أنه خالق الفكرة وصاحبها الأول والأخير .. يتصرف فيها كما يحلو له .. ويتجر بها هنا وهناك .. ما دامت تعود عليه بالربح المادى ! .

وفى اليوم التالى كنت أتحدث الى الدكتور مراد لأستطلع رأيه فى حقيقة ما ورد فى رسالة القارىء السكندرى وشدما كانت دهشتى وهو يقول :

ـ الواقع ان هذا القارىء على حق فيما كتب ولك أن تجمع القصص الثلاث وتقارن بين الأصل السودانى .. والقصة التى نشرها الاستاذ أمين يوسف غراب مرة بعنوان « المرأة والأسد » ، ومرة أخرى بعنوان « امرأة غير مفهومة » .

وقبل أن أرجع الى القصص الثلاث كانت أسئلة كثيرة تتردد فى رأسى لتبحث عن اجابة شافية صريحة .

● الى أى حد يسمح « بلطش » الابتكارات الادبية الشعبية لعدة أدباء أو أديب واحد .. فى الوقت الذى تعتبر فيه مثل هذه الابتكارات ملكية فنية خاصة للاديب وللشعب كله ؟

● الا يمكن صدور قانون يحمى انتاج الآخرين من عبث قطاع طرق الأدب ؟ قانون يكفل للمؤلف الأصل الحق فى أن يظل اسمه مقرونا بعمله مهما طال عليه الزمن ؟

● وما دامت الدولة تصدر القوانين لحماية الآثار المصنوعة بالأيدى الماهرة .. فما الذى يمنعها من اصدار القوانين لحماية الآثار التى صنعتها العقول الذكية ؟

هل كان غراب ظلوما؟

والآن تعال نقرأ الاسطورة التى رواها د . مراد فى كتابه .. انها تحمل اسم « العراف » ، وتحتها هذه العبارة بين قوسين «قصة من كسلا» ومضمونها أن « حليمة عاشت فى كنف زوجها مرجان أعواما خمسة لم تذق فيها للراحة طعما ، فكان عليها دائم الثورة ، وكانت هى لا تعرف الملاينة ولا الخضوع » .

ومن التسلسل الروائى لهذه القصة التى لم تستغرق أكثر من ثلاث صفحات من الحجم الصغير جدا نعرف أن حليمة لجأت الى عراف تسأله النصيحة لعل زوجها يرد اليها شيئا من حنانه القديم وان العراف الشيخ وعدها بأن يعيد اليها الزوج الى سيرته الأولى ... وان الزوجة لما سالته مقاطعة :

ـ وكيف ؟

وصل الشيخ حديثه بقوله :

ـ « هذا اذا ضمنت ان تحضرى لى ثلاث شعرات من أسد حى ! » ·

« وكان مرجان عزيزا على نفسها وكان قلبها به مشـــغولا ·· وكانت اخوف ما تخاف أن يكون قد شغل بغيرها فدب دبيب الغيرة فى نفسها ، ووجدت سهلا ما كانت منذ قليل تراه مستحيلا ·· وبيتت للأمر على أن تنفذه من الغد » ·

ونعرف من نهاية هذه « الحدوتة » ان حليمة لم تستوحش من الأسد عندما ذهبت الى موطنه ومعها حملا دفعت به اليه ، وانها انتهزت الفرصة بعد أن انس اليها الأسد ، ونزعت الشعرات التى طلبهـــا العراف وعادت بها اليه تستنجزه ما وعد بعدما وفت هى بما طلب ·

« واستقبلها العراف هاشا باشا ، والتفت اليها باسما يقول بعد ما فرغ جهدها فيما حاولت :

ـ « هل يعز على من راضت الأسد فذل لها وخضع وانتزعت منه هذه الشعرات ، أن تروض زوجا من بنى الانس فيلين لها ويستكين ؟ » ·

وانصرفت حليمة وكلها ثقة أن عليها واجبا نحو هذا الزوج الذى لا تشك فى اخلاصه ولكنها تشكو عنفه الذى لن يبلغ مبلغه فى السباع » ·

والى هنا تنتهى الاســـطورة السودانية ·· أو الأحدوثة الشعبية فى كتاب قصص سودانية ·

أما اذا قرأت نهايتها فى قصة أمين غراب فانك تراها هكذا بالحرف الواحد :

« ونظر اليها الشيخ بعد أن قصت عليه ما فعلت وقصته بدقة » ·

« ومد الشـــيخ أظافره السوداء المدببة الطويلة وأمسك لحيته المسترسلة التى راحت تهتز عند قدميه فوق الأرض ومن ثم راح يضحك ويغرق فى ضحك طويل » ·

ونظرت هى اليه فى دهشة بالغة وسألته ذاهلة عما يضحكه الى هذا الحد ·

ـ « فقال الشيخ وهو ما زال يضحك ولحيته تهتز فوق الأرض :

ـ « اننى اضحك من كن أيتها النساء تقدرن على أن تروضن الأسود ، وتجئن الى لكى أروض لكن الرجال » ·

هكذا عالج الاستاذ غراب الأسطورة السودانية، باسلوبه المعاصر ، منذ البداية ·· لم يضف اليهـا ما يخلدها أو يزيدها جمـــالا كمـــا يفعل الأدباء المعاصرون فى العالم ·· عندما يتناولون الأســاطير القديمة ! وانما رفع اسم حليمة نهائيا من قصـــته واكتفى بان اطلق عليها « اسم الزوجة » ، ومنحهـــا بضعة أوصاف تزيد من جمالها ·· وقدرتهـــا على احتمال الأهوال التى صادفتهـــا وهى تسعى وراء الاسد الهصور ! وجعل من العراف دجالا يستعين بخادم من الجان لقضاء مآربه !

على هذا الوضع الذى لم يبد فيه شيء غير عادى ـ بالنسبة لعبقرى من عباقرة القصـــة فى بلدنا ـ قدم لنا غراب الاسطورة فى تسع صفحات من الحجم الكبير وكأنه صنع معجزة !

وبنفس الطريقة قدمهـــا وهى تحمل اسم مجموعة قصصه الأخيرة بعنوان « امرأة غير مفهومة » ·

لماذا جعلت منها ـ فى تقديمك لها فى المرة الثانية ـ امرأة غير مفهومة ؟

ما هو عدم المفهومية فى تجاوب شخصيتهـــا مع نفسها · ؟ امرأة أحبت زوجها ، واخلصت له ، ثم أرادت ـ من أجل الاحتفاظ بقلبه ـ أن تضحى بكل غال حتى ولو كان ذلك بحياتها ! ·

ومن يدرى ، فى المرة الثالثة ، لعلها تصـــبح « مفهومة » بعد أن ينساها القراء ·· وتختفى النسخ من السوق ؟!

حكم الناس من أفقي !

ومن خلال الحديث مع د · مراد كامل رأيت أنه غير راض عن التجديد الذى حققه صديقه القصـــاص غراب ·· وعلى سبيل المثال سمعته يقول :

ـ ان الاديب المعاصر حينما يريد أن يقتبس أو يأخذ شخصية من تلك الشخصيات الاســـطورية يجب أن يذكرها باسمها ·· ويتخيل معالمها ومن خلال عرضه يستطيع القارىء أن يقف على قـــوة الكاتب الجديد والزاوية التى تناولهـــا منها ·· واذا أخذ الكاتب موضوعا من النصوص القديمة عليه أن يعرضه بطريقته الخاصـــة كما حدث عندما تناول

« البقية على صفحة ٣٤ »

القنبلة الجديدة والتعايش السلمي

للشاعر : محمود عماد



ظلمتك يا علم اذ قلت ما   أتقن العلم للناس الا البوارا
ولم أدر أنك أرحم قلبا   وأنفع فى العالمين ابتكارا
فقد قيل انك بشرتهم   (بقنبلة) تتوقى الخسارا
تميت الألى يسكنون الديا   ر ولكنها لا تهد الديارا !!
وماذا يهم اذا الدار تسلم   لو ساكن الدار للقبر سارا !!
ومن ذا يقوم بالجهل علما   ومن ذا يقوم بالنفس دارا !!

***

عجبت لحلمك يا أرض كيف   أطقت على ما لقيت اصطبارا ؟
يخرق تفجيرهم جانبيك   ولم تعثرى فى المدار عثارا
على أنها فترة لا تطول   وتمسين بعد دخانا ونارا
ويستقبل الكون شمسا تجد   ويفقد أرضا ويخلى مدارا
فمن شرنا : جاهل لا يمر   أم عالم لا يمل الدمارا ؟
وأيهما من نرجيه جارا   عزيزا ومن لا نرجيه جارا ؟
سلوهم لمن كل هذا الغناء   الذى فى قماقمهم قد توارى ؟
وحتام أفرانهم فى اشتعال   ولا يأتلى الذر فيها انصهارا ؟
أهذا لأجل النعيم المقيم   الذى عنه قد حدثونا مرارا ؟

***

فيا حاطمى النواة لكيما   تحول لديكم لظى وشرارا
أما كان أنفع زرع النوا   ة لتنبت زهرا لكم وثمارا ؟
الا يصلح العيش الا انقضاضا   والا اغتصابا والا احتكارا ؟
وهل لو تعايشتمو فى سلام   ترون التعايش ذلا وعارا ؟
لقد نضج اليوم وعى الشعو   ب فثارت . وراحت تنادى جهارا :
بأن البلاد لأهل البلاد   وأن لا انحياز وأن لا استعمارا
وأن الشعوب بوحى القلوب   تآزر لا عنوة واقتسارا
ومهما طغى فى الجنوب اليسار   فسوف ينحى الجنوب اليسارا
وعمر الأسار قصير وان طا   ل . والآسرون الشعوب أسارى
فماذا على العلم لو يرعوى   ولا يأخذ الدمار شعارا ؟

***

يريد اليهود خداع النصارى   فهل من مهيب بسمع النصارى ؟
أتغتفرون اضطهاد المسيح   اذا كان يأبى المسيح اغتفارا ؟
تمنوا تسامح انجيلكم   وتلمودهم يستبيح الدمارا
ويوصى بافناء عيسى وأحمد   كيما يتيح لموسى اليسارا
وغفران ذنب هو الذنب ماذا   م سوف يزيد الطغاة اقتدارا
اذا كان ماضى فلسطين ينسى   فان بحاضرها لاعتبارا

« محمود عماد »

على ذراع الريح

للشاعر: محمود حسن اسماعيل

«أهاجتها رعشة التحرك ...
فسمعت من الأغوار هذه الهمسة ..»

على ذراع الريح
لى مخدع مريح
وزورق جريح ..
شراعه حرق
وسبحه غرق
طول المدى يصيح
لشاطىء القلق ! !

فى قدح الغروب
قرارتى تجوب
نارا على الدروب ..
وضجعة الغسق
لصحوتى طرق
وغفوتى هبوب
ونشوتى .. قلق !

لكننى ملاح
تسكره الرياح
والتيه ، والجراح ..
وزهرة الأرق
وحسرة الشفق
وفزعة الجناح
ورعشة القلق ! !

لا أعرف الهدوء
ولا وقوف الضوء
ونظرتى تنوء
ان مسها عبق
مصفد الأفق
دموعه وضوء
لسجدة القلق !



« بقية المنشور على صفحة ٢١ »

« ســـارتر » أســـطورة « أجا ممنون » أو « جان جيرودو » حرب طرواده « لن تقوم حرب طرواده »

ولذلك فقد أصبح من الضرورى أن يحافظ الكاتب الحديث على التراث الشعبى القديم عندمـــا يريد أن ينشره ٠

اننا اتجهنا الى ترجمة الآداب العالمية حتى لايسطو عليها أحد فى نفس الوقت الذى نتيح فيه للقارىء العربى أن يعرف حركة الآداب العالمية ٠٠ لقد كان على أن أنقل مـــا نقلت من القصـــص الســـودانية كحواديت من الأدب الشعبى الســـودانى ، وارجعت كلا منها الى الجهـــة والبيئة التى ظهرت فيها كل حدوته ٠٠ وكان غرضى من هذا العرض أن تحكى كما وردت على السنة اهلها ٠٠ وهذا هو الأساس فى تسجيل الأدب الشعبى ، او هذا هو واجب كل من يعنى بهذه الفنون الشعبية ٠

لقد شـــعرت بالراحة عندما رايت من أخـــذ بفكرتى واستفاد بها واقتبس منها وكان هذا هـــو غرضى الأول ولكن كان على الـــكاتب أن يشـــير الى الأصل ٠

وقد حـــدث انني نشرت باللغـــة الالمانية كتـــابا عن الحبشة فارسل الى أحد الكتاب الألمان مؤلفا به قصص من بلاد مختلفة ، ذكر فى مقدمته انه كان يقرأ الكتب المؤلفة عن كل بلد ويقتبس من مضمونها قصة يخرج بها الى الناس ، ويشير فى كل قصة الى الكتاب الذى أوحى اليه بالقصة ٠٠ أخذ الكاتب من هذه الصورة التى اصبحت حية فى ذهنه مـــادة لاخراج قصة تجرى حوادثها فى الحبشة ٠٠ وهـــكذا سار فى عمله عند تناول بعض البلاد الاخرى حتى امكن أن يفيد من مؤلفات الآخرين عنهـــا ٠٠ وكان يذكر فى مؤلفه فى كل مرة اسم الكتاب الأصـــلى وصاحبه ، هذا ما اعتبره الاساس لفكرة تنـــاول الآثار القديمة من جديد ٠٠ وهذا هو ما يضيف الى تقدير الناس للمؤلف تقديرا جديدا !

ماذا يقول غراب ؟

وكان من حق أمين غراب أن يدافع عن نفســـه ٠٠ أن يقول كلمته ٠٠ ويكشف عن حقيقة دوره ٠

ـــ هذه القصة أصلا أسطورة سودانية ولم أكن قرأتها من قبل ، وذات يوم جاءنى صديقى د ٠ مراد كامل واهدانى كتابه وقال لى : ان كل الذى استطاع أن يعمله انه دون هذه الأساطير فى صفحات ، وانه لم يكن قصاصا حتى يكتبها قصصا ، وانه يود لو أتناول هذه الأساطير بأسلوبى كقصاص ، وقرأت الكتاب وأعجبت به فعلا ، وبهذه الاسطورة بالذات، وقلت له بعدها : انني ساكتبها وكتبتها فعلا ، وقرأ القصة التى كتبتها فجاءنى بعدها وأشار فى الكتاب الى بعض أســـاطير أخرى رجانى ان أكتبها بنفس الأسلوب فوعدته وسوف انجز هذا الوعد عندمـــا انفرغ له ٠

أما الأسطورة وتناول الكاتب لها فمما لا شـــك فيه انه لا بد لكل كاتب أن يتناولها تناولا جـــديدا من زاويته ٠ ودليل ذلك ان جميع الأعمال الأدبيـــة الضخمة الخالدة هى الاساطير التى تناولها الكتـــاب الكبار واحالوها الى روايات ، فمثلا بيجماليون كتبها أكثر من واحد ٠٠ كتبها شو بأســـلوبه ، والحكيم بأسلوب آخر ٠



على احمد باكثير

وعندما رجعت الى الأستاذ على باكثير استطلع رأيه سمعته يروى تجاربه الخاصة بهدوئه المعروف ولباقته وحرصه فى مثل هذه الأمور .

قال باكثير : ان روايتى « **ليل يا عين** » التى كتبتها فى الهلال منذ وقت بعيد ، والتى ضمنتها نظرة خاصة ومضمونا جديدا للأسطورة الشعبية شد ما كانت دهشتى عندما رأيت من يسطو عليها فى الاذاعة وينسبها الى نفسه مع اضافة بعض الألحان لأحمد صدقى ، وكان مخرج هذا البرنامج هو عثمان أباظة بكل أسف .. وهو لا يعلم أن ما يخرجه مسروق مائة فى المائة ! .

ومع ذلك فاننى كنت لا أطمع فى أكثر من ان أسمع اسمى مقرونا بعمل الفنى الذى بذلت فيه جهدا ومشقة .

قلت له : وماذا ترى فيما صنعه الاستاذ غراب ؟

قال بنفس الصوت الهادىء :

ــ الحقيقة انا لى رأى فى مثل هذا الموضوع .. ان السطو هو أن ياخذ الفكرة كاتب معاصر ، وينسبها الى نفسه ، وبالذات اذا ما كان مرتكب جريمة السطو دون المجنى عليه ثقافة .. أما الأخذ من الأساطير فهذا حق مباح بشرط أن يتحدد مكان أحداث القصة . أو الأسطورة .. وما دام أمين غراب ذكر اسم السودان فى قصته ، يبقى طرفه خال ، أما بالنسبة لاعادته نشر القصة بعنوان آخر فان من حق صاحب المجلة التى ينشر له فيها ان يساله فى هذه الحالة ! .

واذا كان لم يقدم لنا قصة بالمعنى المفهوم فهذا ما يؤخذ عليه أيضا .

ومن حديث باكثير عرفت انه لم يقرأ القصص الثلاث بعد !

نسيت أن اقول لك :

ــ ان كل ما أضافه الاستاذ أمين غراب الى جسم الأسطورة أنه حدد سنة ١٩٢٠ زمنا لوقوع أحداثها!

فما رايكم يا كتاب القصة فى بلدنا ؟

« **محمد نصر** »





● الأستاذ الكبير احمد حسن الزيات - رئيس تحرير الرسالة .. سيعود الى أرض الوطن في اواخر هذا الشهر - بعد نجاح العملية التي اجراها لسيادته طبيب العيون العالمي « دكتور دي براكير » في برشلونة .

وهيئة تحرير الرسالة اذ تزف هذه البشرى الى قراء الرسالة الأعزاء .. تشكر كل من تفضل بالسؤال عن سبب انقطاع مقالات رئيس التحرير - وسوف يعود استاذنا الزيات الينا والى قرائه قريبا .

● يناقش الأستاذ يحي حقي والأستاذ يوسف الشاروني مساء الأربعاء القادم مجموعة قصص « مشوار طويل » للأديب عبد المعطي المسيري وذلك في الندوة الأسبوعية لنادي القصة وجمعية الأدباء .

● يصدر قريبا عن دار الكاتب العربي ببيروت - الديوان السابع للشاعر عبد الوهاب البياتي - الديوان بعنوان « النار والكلمات » .

● « لم يبق الا اعتراف » ديوان جديد للشاعر احمد عبد المعطي حجازي يصدر خلال الشهر القادم عن دار الآداب - بيروت .

● تلقى الشاعر عامر محمد بحيري (عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب) خطابا من اتحاد الشعر العالمي بالفلبين يدعوه الى الاشتراك في هذا الاتحاد الذي يضم نخبة من كبار الشعراء العالميين ..

● يصدر قريبا كتاب خطوات على الشلال للأستاذ محمود تيمور وهو يعبر فيه عن مشاعره وافكاره أثناء زيارته للسد العالي .

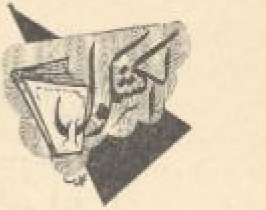
● اقام مجمع اللغة العربية جلسة علنية مساء الثلاثاء قبل الماضي لتوزيع الجوائز على الشعراء الفائزين في مسابقة المجمع الأدبية لعام ٦٣ / ١٩٦٤ .

وقد فاز بالجائزة الأولى الشاعر علي محمد حمد عن ديوان « براعم اشتراكية » ، وفاز بالجائزة الثانية الشاعر محمد رجب البيومي عن ديوان « صدى الأيام » ، وفاز بالجائزة الثالثة الشاعر محمد احمد العزب عن ديوان أبعاد غائمة .

● الأديب محمد الشناوي - فرغ مؤخرا من كتابة مسرحيته التالية - المسرحية بعنوان « حكاية أمل » ..

● تعاقد الأستاذ عباس خضر مع الدار المصرية للتأليف والترجمة على تأليف كتاب عن محمود تيمور رائد القصة القصيرة والمسرحية ليظهر في سلسلة اعلام العرب .

● قررت لجنة النشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاحتفال بمرور اثنى عشر قرنا على ميلاد الجاحظ في فبراير ١٩٦٧ .



عتب وتعقيب

ان صلتي بمجلة « الرسالة » وثيقةوقديمة وليست الشقة بيني وبينها بعيدة . وكنت أتوقع اذا بلغها شيء مايريب أن تستوضحني ولو فعلت لعرفت الواقع على وجهه ولظهر لها .

١ ـ انى لم أكتب فى مجلة « حوار » منذ ظهورها الا مقالين اثنين اولهما عن « لطفى السيد » وثانيهما عن « عباس العقاد » واظننا نتفق على أنه يجدر بنا أن نعرف بأعلامنا ، ونكتب عن أمجادنا فى اية صحيفة ، وفى اى قطر وباية لغة .

٢ ـ يخيل الى ان صلتى الطويلة بمجلة « الرسالة » تجعلها تدرك انى لست ممن يعمل « معتمدا » ولا وكيلا لصحيفة كيفما كان شأنها ! واظننى ألف دائما موقف من يؤمن برسالة ، ويحاول أن يؤديها على وجهها ولذاتها .

٣ ـ أعلنت مجلة « حوار » مثلا عن جائزة ادبية سنوية . وذكر اسمى بين المحكمين وهم نخبة من رجال الفكر والأدب فى العالم العربى واضطررت مع الأسف للاعتذار عن ذلك منذ زمن . ولكن لأسباب غير تلك التى ذهبت اليها مجلة « الرسالة » .

٤ ـ لست ادرى ما لجامعة برنستن وهذا الشأن ! لأمر ما يراد ربط هذا بذاك ؟ واحب أن الاحظ انى لم اذهب الى برنستن فى أوائل الصيف الماضى محاضرا ووددت لو فعلت . وانما دعيت لكى أمنح لقبا علميا فخريا أعده رمزا لعلاقة ثقافية بين بلدين كبيرين أكثر مما اعتبره تكريما شخصيا .

وبعد ..

فبين يدى الآن الثلاثة عشر عددا التى ظهرت من مجلة « حوار » وقد تصفحتها وحاولت جاهدا أن أجد فيها شيئا يخرج على العروبة أو يعترض سبيلها . وعلى العكس وجدتها تعلن فى صدر عددها الأول أنها « مجلة عربية » ويكتب فيها أدباء ومفكرون من كافة الأقطار العربية وتعنى بالقضايا الحية التى تهم امتنا ووطننا » .

وقد التزمت بذلك فساهم فيها كتاب عرب كرام واستطيع أن اقرر أنهم جميعا تقدميون وعالجت موضوعات فى صميم القومية العربية ، ويمكن أن أشير من بينها الى : « الاسلام والقومية فى الشرق الاوسط » « اللغة العربية لغة عالمية » رسالة الجمهورية العربية المتحدة « مواقف الغرب من القضية الفلسطينية » «تحية للجزائر» «لطفى السيد بين المصلحين» (المفكر طه حسين الاجتماعى) ، (عزيز المصرى والحركة القومية العربية)

وحظيت بحديث خطير للرئيس احمد بن بيلا عن (ثورة الجزائر الجديدة) ، وسجلت وثيقتين بريطانيتين سريتين عن فلسطين لم يكشف عنهما من قبل .

فهل بعد هذا يمكن أن يقال أن مجلة «حوار» تناهض القومية العربية أو انها تمالىء الاستعمار ؟ اظن أن هناك سبيلا لتقديم دليل مادى على ذلك من عمل حوار نفسها .

« دكتور ابراهيم مدكور »

● لم ينف الدكتور ابراهيم مدكور شيئا مما قلناه فى العدد الماضى عن علاقته بالمؤسسة العالمية لحرية الثقافة ومجلتها «حوار» ما عدا التعديل فى بعض التشكيلات .. بل زاد على ذلك ارشادنا الى كتابات له فيها .. ودفاعا عنها .

ونحن نرى من دفاع الدكتور مدكور أنه يشارك مجلة «حوار» فى أغراضها وتأدية رسالتها العربية كما يرى .. واللاعربية .. كما نرى .

وفى العدد القادم من «الرسالة» نلقى مزيدا من الضوء على موقف تلك المجلة من القيم والمثاليات العربية ، لعل الدكتور مدكور يعرف ان لم يكن يعرف .

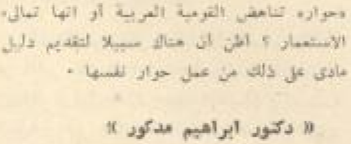
● **نشر الدكتور لويس عوض ان الاستاذ صلاح عبد الصبور نبهه الى كلمة «صليان» فى بيت ابى العلاء المعرى :**

صليت جمرة الهجير نهارا
ثم باتت تغص بالصليان

وانها بالياء، واللام المشددة وليست « صلبان » بالباء كما حسبها الدكتور .. وكان الجدير بمن يكتب عن ابى العلاء ان يدرك ذلك من تلقاء نفسه .. وبمقتضى ثقافة ادبية عربية يجب ان تتوافر له قبل ان يتصدى لمثل هذا البحث .

● **ترامى الحال بالمرشحين لعضوية مجمع اللغة العربية الى حد ان احدهم نشر بالاهرام نشرة تتضمن مؤهلاته لهذه العضوية .. تصور !**

عباس خضر



مزيداً من فلسفة التشريع الإسلامي

بقلم: محمد عبد الله السمان

مما لاريب فيه : أن المكتبة الاسلامية زاخرة بالمؤلفات العديدة الضخمة فى التشريع الاسلامى وفى شتى فروعه ، ولكنا لانتجاوز الحقيقة اذا اعتبرنا أن المكتبة الاسلامية لم تزل فقيرة فى المؤلفات التى تبحث أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته .

ومنذ أن ألف حجة الاسلام الامام الغزالى المتوفى أوائل القرن السادس الهجرى كتابه الجليل «احياء علوم الدين» وضمنه الكثير من أسرار التشريع الاسلامى وفلسفته لم تحظ المكتبة الاسلامية الا بالقليل النادر فى هذا المجال ، وحتى هذا القليل النادر جعل كتاب الامام الغزالى عمدته فى البحث .

ولا جدال فى أن المفكرين الاسلاميين الهنود سبقوا فى هذا المضمار فى القرون الثلاثة الأخيرة ، ومن أبرزهم ولى الله الدهلوى فى كتابه «حجة الله البالغة» وكم سررت وأنا أرى «دار الكتب الحديثة» بالقاهرة تقدم الطبعة الرابعة فى الايام الاخيرة الى المكتبة العربية والاسلامية ليسد فراغا لا يسده كتاب غيره الى جانب شقيقه «احياء علوم الدين» للامام الغزالى .

لقد طبع الكتاب للمرة الاولى فى الهند ، وطبع للمرة الثانية بالمطبعة الاميرية بالقاهرة وطبع منذ اثنى عشر عاما بالمطبعة المنيرية بالقاهرة أيضا ، ولكن هذه الطبعات الثلاث نفدت جميعها منذ عشر سنوات ، على الرغم من أن صفحات الكتاب بلغت فى الطبعة الاخيرة الرابعة زهاء تسعمائة صفحة ، وعلى الرغم أيضا من أن ثمن النسخة يربو على جنيه مصرى ، وهذا السياق أقصد منه أن الدراسة الاسلامية الموضوعية فى مجال الفكر الاسلامى تجد لدينا اجلالا وتقديرا ، فى الوقت الذى أرى فيه الكساد يلاحق الكتب الاسلامية التى لايزيد ثمن الكتاب منها على بضعة قروش مصرية ، والسبب فى ذلك أن هذه الكتب لاتهدف الا الى الاستهلاك المحل ، فهى لاتسد فراغا ، ولا تخدم موضوعا ، ولا تقنع فكرا ناضجا ، لان موضوعاتها تتسم بالتكرار الممل والسطحية الهشة والثرثرة الجوفاء .

وكتاب «حجة الله البالغة» قسمان :

القسم الاول فى القواعد الكلية التى تستنبط منها المصالح المرعية فى الاحكام الشرعية ، ويبحث فى أسباب التكليف والمجازاة فى الحياة وبعد الممات ، كما يبحث فى الارتفاقات أى التدبيرات المعيشية النافعة ويبحث فى حقيقة السعادة واختلاف الناس فيها ، كما يبحث فى حقيقتى البر والاثم ، ويبحث فى السياسات الملية وحاجة البشرية الى هداة ، وحقيقة النبوة وخواصها ، وأن أصل الدين واحد والشرائع والمناهج مختلفة ، كما يبحث استنباط الشرائع من حديث الرسول - صلوات الله عليه - وطبقات كتب الحديث ، وأسباب اختلاف الصحابة والتابعين فى الفروع ، وكذلك اختلاف مذاهب الفقهاء والفرق بين أهل الحديث وأهل الراى .

اما القسم الاخر : فيتناول اسرار ما جاء عن النبى تفصيلا فى العبادات والمعاملات وابواب المعيشة ، كما يبحث حقيقة الاحسان والسياسة الشرعية فى مجال الخلافة والقضاء والحدود والمظالم والجهاد ، ويختتم ببحث موجز فى سير النبى ومناقب الخلفاء .

أما المؤلف فهو الامام الشيخ احمد المعروف بشاه ولى الله ابن عبد الرحيم الدهلوى المولود فى عام ١١١٤ هـ (١٧٠٤ م) والمتوفى عام ١١٧٦ هـ ، ومولده ووفاته ببلدة دهلى بالهند ، وكان يحسن الفارسية والعربية معا ، وله مؤلفات عديدة باللغتين فى التفسير وأصوله والحديث وعلومه وشرح موطأ مالك كما شرح تراجم الابواب للبخارى ، وله فى الفقه وأصوله كثير من الدراسات ، وله فى علم الكلام وآداب السلوك والتصوف والادب مما تزخر به المكتبة الاسلامية ، ومن أعماله التى لاتجهل ترجمته الفاظ القرآن الكريم ومفرداته الى اللغة الفارسية حيث كانت اللغة الرسمية للهند وقتذاك ، وذلك ليفهم العامة معناها عند القراءة بأصله العربى .

والحق انه كان اماما مصلحا مجددا لدين الله ، وترك مدرسة فكرية لايزال لها اتباعها لا فى الهند وحدها ، بل فى سائر بلاد المسلمين وحسبه انه دعا الى الاعتصام بالكتاب والسنة وترك التقليد وعدم الاخذ باقوال الفقهاء الا بعد البحث والتحقيق ومعرفة حججهم ، وكانت فكرته فى أساسها التوفيق بين المذاهب فان تعذر ذلك اخذ بما يوافق الاحاديث الصحيحة ورجحه على غيره ، وذلك كما يذكر محقق الكتاب الاستاذ الشيخ سيد سابق فى مقدمته .

بقى أن نناقش محقق الطبعة الجديدة التى بين أيدينا اليوم ، وهو عالم فاضل جدير بأن يوكل اليه تحقيق مثل هذا الكتاب الذى يحتل مكانا مرموقا فى المكتبة الاسلامية ، فالمعروف أن الطبعات الثلاث السابقة اكتفت بتعليق خاطف لجماعة من علماء الهند ، واسناد الطبعة الرابعة الى عالم فاضل كالشيخ سيد سابق مؤلف «فقه السنة» المشهور يطمئننا الى انه سيجعل لهذه الطبعة ما يميزها عن أخواتها الثلاث السابقة ، والى انه سوف يبذل فى سبيل ذلك جهدا شاقا ملموسا فى هامش الكتاب .

وقبل المناقشة أسجل هنا أن الشيخ سيد سابق كتب مقدمة فى عشرين صفحة عن

المؤلف والكتاب جاءت مستوفاة تماما ، تناول فيها تاريخ الاسلام في الهند وآثاره هناك ، وأسباب تقلص ظل الدعوة الاسلامية في الهند وعصر المؤلف في الجوانب السياسية والعلمية والاجتماعية ، ثم حياة المؤلف ونشأته ومكانته العلمية ومؤلفاته ودوره في الاصلاح .

وقد لايختلف معنا المحقق في أن تحقيق التراث لايقتصر على شرح لفظة مبهمة ، أو اشارة الى رقم آية ورقم سورتها ، أو تصحيح عبارة وردت في الكتاب ، والا كان مثل هذا الجهد ميسرا لارباع المثقفين . وفي هذه الجوانب أدى المحقق واجبه . ولكن التحقيق يشمل شيئا أكبر وهو مثلا تحقيق الاحاديث النبوية والاعلام ومناقشة المؤلف فيما اشتط ، ولم تتوافر العصمة لعالم مهما بلغ من العلم ، وفي هذين الجانبين لم يؤد المحقق واجبه كاملا ، فالمؤلف على الرغم من عمق تفكيره وسعة افقه وغزارة علمه متأثر قليلا بمسحة من التصوف المشتط ، ومتأثر بروايات كتب التاريخ التي يجب الوقوف عندها .

ان الشيخ سيد سابق يذكر في مقدمته انه أراد ان يحقق الاعلام والاحاديث النبوية فيه ، ولكنه وجد ان هذا يحتاج الى كتاب مستقل لكثرتها ، ووعد باخراجه عندما تواتيه الفرصة ويسمح الوقت .. وهذا اعتراف منه بالتقصير ، وهذا الجهد مكانه هامش الكتاب لا افراد كتاب مستقل ، لانه يجب ان ييسر للدارسين استيعاب كتاب «كحجة الله البالغة» له مكانة مرموقة في الفكر الاسلامي .

محمد عبد الله السمان



شكر وصلاة

للشاعر : محمد مصطفى الماجى

يارب باسمك في صلاتي أهتف
فانا الذي لبديع صنعك اعرف

ربي رايتك في الصباح ونوره
فيداك للأفق البعيد تزخرف

واراك في الاشجار في ثمراتها
والطير تصدح باسمه وترفرف

ابدعت هذا الزهر في الوانه
ويداك الروض النضير تفوف

سبحت باسمك في صلاتي شاكرا
وغدوت الهج بالثناء واهتف

محمد مصطفى الماجى

قصة قصيرة

السمكة والسلطان

بقلم : خير الدين سلطان

على الضفة الأخرى من دجلة ـ في الشمال ـ كانت هناك غابة غرب .

كانت اشجارها الحائلة الخضرة مزدحمة متداخلة ، تبدو كقطعة كبيرة من سمرة عميقة ، يفصل بينها وبين النهر جرف عمودي الانحدار . وخلف الغابة السمراء تلوح جبال بعيدة على سفوحها تموجات حادة تكونت بفعل الرياح وسيول الثلج الذائب . والى الجنوب يتصل رافد صغير بدجلة فيشكل معه زاوية حادة شامخة الارتفاع .

كانت زرقة مياه النهر صافية تقرب الى الخضرة عند شاطئ هذه الضفة لأنها عميقة بعيدة الأغوار ، وهي تمتد على هيئة قوس الى مسافة ميل تقريبا ، تشبه خليجا صغيرا مياهه ساكنة . اما تيار النهر ، عند الضفة المقابلة ، فقد كان يجري بحدة ضارية .

كانت حرارة القيظ قد انخفضت بعد أن مالت الشمس عن منطقة الزوال ، ولكن وخامة الشاطئ لا زالت تضجر العجوز « عارف صبري » وهو : احد هواة صيد السمك ، في أواسط العقد السابع من عمره ، معتدل الظهر والقامة نسبيا ، ذو عينين غائرتين ، وأنف ضخم الأرنبة ، وشارب كثيف رمادي اللون .

لقد اكتشف « عارف صبري » هذا الخليج في نهاية الصيف الماضي عندما كان يتنزه على الشاطئ ذات أصيل ، فقرر ممارسة هوايته المحببة فيه لدى عودته الى « هنا » في الصيف التالي ، فقد اعجبه جمال الطبيعة من حوله ، واعتقد أن الأسماك تكثر في مثل هذا المكان الهادئ المنعزل .

كان هذا هو اليوم السابع الذي ارتاد فيه المكان من الخليج ، ولكنه لم يصطد شيئا يذكر طوال تلك المدة ، اللهم الا بضع سمكات صغيرة تافهة .

كان ـ في هذه اللحظة ـ يراقب خيط سنارته الغائص في الماء المنكسر عند السطح ، اذ أن ثمة سمكة كانت تنقر الطعم منذ ما يقارب الساعة ، وبين مدة واخرى ينطلق من الغابة صوت اطلاقة تردد صداها الجبال الواقعة خلفها ، وهذه الاطلاقات تصدر عن صياد يطارد خنزيرا ، وقد ظهرا ، هو وطريدته من قلب الغابة عند الجرف في اوقات متباعدة .

كانت الأمواج الرقيقة تندفع متلاحقة كازلية الحياة فوق أعماق النهر الخضراء ، فاستهوته مراقبتها ، فقد احس انه يرتبط بها على نحو ما ، وتمتم : « انها كأمواج حياتي » وصمت ، ولكنه استمر يقول في سره : « ... الا موجة واحدة كبيرة مروعة لا يمكن ان تشبهها اي موجة اخرى » .

احس « عارف صبري » بنقر السمكة ينفض خيط سنارته ، فارهف شعوره وتحفز ... ولكن السمكة خيبت ظنه ، اذ كفت عن النقر ، فانتظر ... وطال انتظاره ، ولم تعاود السمكة مداعبة الطعم ، فاسترسل مع ذكرياته : ذكريات الموجة المروعة :

ـ عندما رأيتك لأول مرة ، شعرت اني احببتك منذ قرون !

قالت هذا منذ اربعين عاما تقريبا ، كنت اصطاف في هذه المدينة الصغيرة ، والتقيت بها ذات أصيل على الشاطئ ...

ـ بقدر ما احببتك في اول ايامنا ، كرهتك الآن !

بعد عامين ، كان هذا ما قالته لي بكل صلافة ، وفي نفس هذه المدينة .

وهبتها نفسي .. قدست جمالها . كانت جميلة الى حد فظيع . حسنا .. تزوجتها ..

وانتفض خيط السنارة في يده انتفاضة كليلة ، ثم انتفض ثانية وثالثة ، فسحبه بسرعة . كان سهل القياد . وعندما اخرجه من الماء رآه مجردا من الطعم ، لقد اكلته السمكة ، فوضع طعما جديدا وطوح به في عرض النهر ، ثم اخذ يخط على رمل الشاطئ الندي خطوطا متقاطعة ودوائر غير كاملة :

« رأيتها مرة بصحبة رجل غريب :

ـ من هذا ؟

ـ قريب لي ...

ـ ولكني لم اره من قبل !

ـ لقد كان مغتربا .

واعتزلت فراشنا .. نامت في حجرة اخرى . وتجرعت مرارة الحنظل . ساورتني الشكوك في اخلاصها . كانت نظراتها مريبة :

ـ ما رأيك لو « عدنا » الى بغداد !

ـ لا اوافق .

ـ لقد انحرفت صحتي منذ وصولنا ! ..

قالت ببرود :

ـ اما انا فقد تحسنت صحتي كثيرا ، وستنحرف الى « سيئة » اذا ما عدت في هذا الوقت المبكر .

ـ والفجر ! لقد امتلات ضجرا .

اجابت ببرود مثير :

ـ في المرة الاخيرة ، امرني الطبيب ان ابتعد عن جو المدينة الفاسد وحذرني من ارهاق نفسي .

كل شيء حدث ، اتذكره بوضوح . كان جمالها الشيء الوحيد الذي يمكن ان يؤثر في ، نظرة واحدة من عينيها النجلاوين كافية لان اتراجع عما اتويته .. وشاركتني حجرتي في تلك الليلة ... »

❊❊❊

كان هنالك شخص ما يعوم مع التيار قريبا من مقر سنارته فتضايق منه . وقال الرجل الذي في النهر متضاحكا :

ـ اخشى ان اكون ازعجت صيدك !

وكان التيار قد اخذه الى الجنوب . فرمقه الصياد بنظرة متبرمة ، وقال بصوت مسموع :

ـ يا لعين . .

ثم عاد يسترسل مع ذكرياته من جديد :

« كانا متعانقين ، هي ومن ادعت انه قريبها . في ذلك اليوم عدت الى البيت مبكرا جدا . لم افتح فمي .. لم اقل كلمة ولم يشعرا بدخولي ، فانسحبت بصمت وعدت الى بغداد . كان دماغي يغلي في راسي ، وتوقعت ان انفجر . ومن هنالك بعثت اليها بورقة الطلاق . ولم ارها بعد ذلك . وهجرت دنيا الزواج الى الأبد ..ما حاولت قط ان اعيد الماساة من جديد . كانت موجة كبيرة مروعة لا يمكن ان تشبهها اي موجة اخرى .. »

ونقرت السمكة الطعم نقرة قوية ارتعش لها الخيط في يده ، فسحبه بسرعة وبراعة . كان ثقيلا ، وفي نهايته كانت قد علقت السمكة ، كانت سمكة غريبة لم يشهد لها مثيلا : ضخمة الذنب ، عريضة البطن ، ذات حراشف ملونة مزركشة بنقاط سوداء دقيقة ، تزن خمسة كيلوجرامات تقريبا . كانت تقفز على الرمال الرطبة بعصبية بالغة ، واعجب بها ، فاثر ان يتمتع برؤيتها فلا يتركها تموت .

انتطع « عارف صبري » شيئا من خيط السنارة وادخله من فمها واخرجه من غلاصمها ثم اعادها الى الماء . ومالت الى الأعماق تحاول الهرب فردعها الخيط الذي ربطت به ، وانقلبت على ظهرها فعكست حراشف بطنها ضوءا فضيا ، ثم عادت تعوم متهادية بعد ان يئست من امكان الهرب .

وتدفق الى نفسه سرور عظيم وهو يراقب هذه الملهاة المسلية والممتعة . كانت الوانها جذابة وجسمها بديع التركيب .

جنحت الشمس الى المغيب ، فتكللت قمم الجبال باللون الذهبي لاشعتها ، بينما كانت الغابة ـ في الظلال ـ تبدو اعمق خضرة ، وقد توقف اطلاق النار فيها ، وحل محله صراخ احد ابناء اوى (واوى) يجاوبه جمع غفير من بني جلدته . وسرعان ما هبط الغسق مرحا طروبا ، فترك هذا الجو البديع انطباعا لطيفا لدى الشيخ الصياد ، وتحول اعجابه بسمكته الى نوع من الميل العاطفي ، لذلك قرر ان يحاول ، ما اسعفته طاقته ، المحافظة عليها والعناية بها فلا يخرجها من الماء : ربط الخيط بصخرة مناسبة وارساها في النهر قريبا من الشاطيء ، ووقف يرنو اليها لحظة ، وقال بوجه باش :

ـ لن تهربي هذه المرة .. الى اللقاء في صباح الغد .

لم ينتبه الى ما في قوله من خطا ، فقد تسللت الجملة الاولى على الصيغة التي نطق بها دون علمه . ولم يتذكر اي شيء ـ غير سمكته الفريدة ـ وهو عائد الى البيت .

مع زقزقة عصافير الصباح وتفتح الطبيعة على اضواء النهار كان « عارف صبري » قد جلس على الشاطيء يتمتع بمراقبة سمكته . كانت اشعة الشمس تنعكس على مياه دجلة فتبدو اكثر صفاء وشفافية ، وكان كل شيء هادئا غافيا كاحلام العذارى ، فشعر « عارف صبري » بصفاء الطبيعة وهدوئها يتسربان الى نفسه ، ولأول مرة منذ اربعين عاما استمتع بلذة الاطمئنان ، وشعر بسعادة تفيض في داخله وهو يقلب نظره بين روعة الطبيعة وبين مرح سمكته العزيزة العابث . لكن ذلك لم يدم طويلا .. فمن خلال هذا الجو المريح برز وجه زوجته المطلقة واضحا كئيبا ، فضايقه ذلك ، وحاول طرده من مخيلته ، الا ان الوجه ازداد وضوحا وتجلت كآبته اكثر حدة ، فاثار ذلك اشجانه ، وتداعت في ذاكرته نتف من حياته معها :

ـ لم يكن ثمة داع للانزعاج .

ـ اعرف ذلك .

ـ اتودين ان اكرر : « انا لك بكل كياني » ؟

ـ لا داعي لذلك . كنت امزح معك فقط .

ومرة قبيل الطلاق ، قالت :

ـ لم اعد استطيع الحياة معك . لقد ضاعت حياتي في تفاهتك .

ـ اذن ، فمفهوم التفاهة يعني لديك : الحب والتضحية والاحترام ! ساحاول تغيير مفاهيمي بما يرضيك .

ـ لا اريد ذلك . المهم اني ساتخلص منك لاني .. سئمتك .

ـ ومع ذلك ، فاني ازددت حبا لك .

هذا الجحيم ، كنت اعتبره جنة . صحيح انني لا اقدر على الاستغناء عن المراة ، ولكنني استغنيت عن امراة واحدة ، فربحت الجولة وربحت نفسي .

ان العذاب الذي عانيته ، كان بسبب سيطرة ذلك الشيء الوهمي الذي لا وجود له على الاطلاق (يعني الحب) وعرفت كيف اتحرر من ربقته .. وقليل من الناس من اكتشف طريقة الخلاص » .

❊❊❊

كان واقفا ـ صباح اليوم التالي ـ ينظر ببلاهة وذهول الى الصخرة التي ربط اليها السمكة .. كان الخيط مقطوعا ولا اثر لوجود السمكة . وكان ثمة سرطانا متوسط الحجم يربض على مقربة من الصخرة ، فادرك ما حصل ، وقال في سره : « كان من الواجب على قتلها » .

ظل السرطان منتصبا لم يات بادنى حركة ، واعتبر ذلك تحديا صارخا . فاحتدم الغضب في نفسه وشعر انه يختنق ، ومن غير تفكير ولا وعي هجم على السرطان ، واخرجه من الماء وطوح به بعيدا ثم سحقه برجله بعنف افرغ فيه كل احقاده وكراهياته المشحونة في داخله .

دارت به الارض قليلا . وشعر برغبة في قذف كل ما في جوفه .. وهو ينظر الى حطام السرطان الذي يثير الاشمئزاز في النفس . وتمتم في استنكار :

ـ هذا غير معقول .. غير معقول !

وحول نظره بعيدا الى النهر المنساب ـ نحو الجنوب ـ في هدوء يطحن اعتى انواع حجر الصوان !

بغداد خير الدين سلطان

حول الأدب السوداني

بقلم عبده بدوى

الفن المتجدد

لقد كنت سعيدا بتلقى كتاب « نظرية الفن المتجدد وتطبيقها على الشعر » للأستاذ **عز الدين الأمين** المحاضر الاول بجامعة الخرطوم .. كنت سعيدا للتعرف على الوجه الشعرى للسودان بعد ان تركته من فترة كبيرة ، وبعد أن قلت كلمتى فى هذا الفن فى كتابى **« الشعر الحديث فى السودان »** ، وللتعرف على وجهة نظر سودانية فى هذا الميدان بعد ان سرق لبنان الكاميرا وركزها على شعرائه من وقت كبير ، وبعد ان استحال الشعر فيه الى نوع من الثرثرة اللغوية ، وبعد أن اصبح يبشر بهذا التحول بالمجلات وبالمندوبين فى العالم العربى .

ومهما يكن من شىء فعز الدين الأمين يقدم ما يسميه « نظرية الفن المتجدد » التى تشرح رسالة جماعة الادب المتجدد بالسودان ، والتى تقوم على أساسين **اولهما** ابقاء اصول الفن **وثانيهما** التجدد المطرد له ، والكتاب يضرب مثلا على ذلك بالموشح والدوبيت الذى لو خرج واحد منهما عن خصائصه لما اصبح موشحا أودبيتا ، وبان القافية بعد ان كانت اصلا فى القصيدة القديمة الا ان اسقاطها لاينفى ان هناك اصلا يمكن التنويع فيه ، ثم نراه يضعنا امام مصطلحين موفقين هما الشعر المتجدد (الشعر العمودى) وشعر التفعيلة (الشعر الحر) ثم نراه يتسلل الى مناطق نفوذ شعر التفعيلة ، فيذكر أن القول بان هذا الشعر مساير للعصر لايخرج عن كونه خدعة للرواج وخوف الكساد لان حركة الاحساس بالعصر ليست وقفا على من يقدم التفعيلة فقط .

والقول بان هناك خصائص تتمثل فى العبارات والالفاظ الموحية لايمكن قصرها على نوع دون آخر ، وقد عمقت مدرسة الديوان الاحساس بهذه القضية فى اطار الشعر المتجدد .

كما ان القول بان شعر التفعيلة يتميز بالغموض كصفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقى ،

وانه يعتمد فى بنائه على الصورة ، وعلى الاستفادة من الاساطير ، وعلى القرب من واقع الحياة البسيطة ، وعلى الحوار والقصة .. القول بهذا لاينفى وجوده فى الشعر المتجدد . فى الماضى والحاضر ، ومن هنا لن يكون العيب هو عيب الشعر المتجدد فى ذاته ، أو فى قدرات اصحابه ، وانما فى حركات العصر الذى تلون التفكير والخيال والاتجاه .

والمؤلف يصل بالقضية الى حد الغليان حين يقدم لنا نماذج قديمة تثبت قدرة الشعر المتجدد على كافة الجوانب التى يعتبرها البعض خاصية من خصائص شعر التفعيلة ، ومن هنا نراه يقدم من الشعراء القدماء المتقاربين فى الزمن امرأ القيس والحطيئة ، وعمر بن ابى ربيعة ، وامية بن ابى الصلت ، وذا الاصبع العدوانى ، وبشار .. كما يقدم نماذج حديثة من الشعر المتجدد استوعبت خصائص شعر التفعيلة للشعراء بشارة الخورى ، نزار قبانى ، عبد الباسط الصوفى ، نازك الملائكة ، سليمان العيسى ، هاشم الرفاعى ، سعد دعبيس ، عبده بدوى .

ثم ينتقل الكتاب الى قضية حيوية مؤداها ان الالفاظ رموز للمدلولات ولكنها رموز ميتة جامدة ، وانا نحن الذين نبعث فيها الحياة والقوة .. وهو بهذا يرد على الذين يقولون ان بعض الكلمات العامية أقوى فى الدلالة على مدلولها من الكلمات الفصيحة ، وان الالفاظ الأعجمية شأنها فى ذلك شأن الالفاظ العامية .. فاستعمال كلمة «راديو» والالحاح عليها هو الذى جعلها تغطى على كلمة «مذياع» ، واستعمال كلمة قطار العربية لمخترع كان جديدا علينا هو الذى جعلنا لانستطيع استساغة كلمة «ترين» الانجليزية .

ثم ينتهى من هذا الى القول بانه يفضل الاشتقاق والنحت على التعريب ، وحين يصل الى مرحلة التطبيق نراه يأخذ على قصيدة «طوق الياسمين» لنزار قبانى انها بسيطة وخالية من الفن ، ثم نراه يضع فى مواجهتها على اختلاف فى الموضوع قصيدة **الجبل** لابن خفاجة الاندلسى ، ولعله كان من المفيد أن يضع فى مواجهتها قصيدة لاتبعد كثيرا عن تجربة نزار قبانى ، تلك القصيدة التى تقول أبياتها ، والتى لا يرتاح اليها عز الدين :

● **وقصدت دولاب الملابس .. تقلعين .. وترتدين**
وطلبت أن أختار ماذا تلبسين
أفلى اذن ؟ أفلى أنا تتجملين ؟
ووقفت فى دوامة الالوان .. ملتهب الجبين
الاسود المكشوف من كتفيه .. هل تترددين
لكنه لون حزين
لون كأيامى حزين
ولبسته .. وربطت طوق الياسمين

ومهما يكن من شىء فقصيدة نزار تعبير موفق عن تجربة الشاعر مع فتاة مترفة تحسن اختيار العطر ، واختيار اللحن الفرنسى ، واختيار الفساتين واختيار من ترقص معه .. فالبلاغة هنا ليست بلاغة «كلمات» وانما بلاغة موقف يتحتم فيه أن تذهب الفتاة الى دولاب الملابس ، ثم تقول ــ وربما وهى تغمز بعينها ــ ماذا تحب ان ارتدى من هذه الالوان ، فاذا به يختار لونا حزينا ، ربما لان هناك احساسا غامضا بان قلبه سيكسر فى نهاية الليل ، بل انى اعتقد ان هذه البطلة بالذات لو لم يقل انها قصدت الى «دولاب الملابس» ووقفت امام «دوامة الالوان» ولو لم تقف عيناه عند «الفستان الاسود المكشوف من كتفيه» والذى يصلح للسهرة المقترحة «لو لم يقل كل هذا لما كانت تجربته صادقة وحارة وحزينة على النحو الذى يحس به القارىء حين ينتهى من القصيدة ، وحين يحس هو نفسه أن قلبه قد كسر مع قلب الشاعر : وقد اكون مع عز الدين الأمين لو كانت فتاة نزار من « **الغورية** » أو «شمبات» ، ولكنها من شىء آخر بعيد تماما عن الغورية ، وعن شمبات !

***

ثم ينتقل المؤلف نقلة «يصك» فيها الجامدين الذين لايقبلون فى الشعر تجديدا ولا تنوعا ، وهو فى هذه النقلة لايخاصم أنصار «شعر التفعيلة» كما يقولون «على طول الخط» لانه متفق معهم فى اعطاء الفنان المزيد من الحرية ، وفى ضرورة وجود الموسيقى ، ثم انه يعترف لبعض هذا الشعر بأنه يؤثر بمضمونه ودفقته الشعورية ، وانه يلائم

المسرحية والملحمة والقصة ، وان كان يعيب عليه «عدم اكتمال الموسيقى» .

ثم يذهب الى القول بأن خير مايقدمونه هو «.. الشعر القائم على التفعيلة الواحدة والمقفى فى نفس الوقت ، ولكنا نقول : ان قيامه على تفعيله واحدة ، وان كان يحدث موسيقى الا انها موسيقى ضعيفة لأنها موسيقى جزئية ولا اتساق فيها او تنسيق لفقدانها التنظيم الموسيقى الذى يحدث اللحن التام والنغم الكامل ، ثم هى الى ذلك موسيقى رتيبة لأنها تكرر نغمة واحدة فى القصيدة هى نغمة التفعيلة الواحدة» ولعل المؤلف يقصد هنا الدعوة الى البحر القائم على التفعيلة الواحدة كالرجز والكامل ومجزوئه .

ثم انه لايجد مانعا من اعادة توزيع الشعر المتجدد على طريقة السطور بدلا من الشطور ، ولعل المؤلف يقصد الكتابة الشعرية المتأثرة بالقراءة الشعرية ، ذلك لأنه لا احد يلزم قارىء الشعر المتجدد بوقفة واحدة فى آخر البيت او بوقفتين او اكثر خلال الشطرين ، فان كان يقصد هذا فانه يكون ملتقيا عند مايراه بعض النقاد فى الجمهورية العربية المتحدة .

***

وهو يؤكد أن البيت لايفرض معنى زائدا الا عند الشاعر الهزيل والا لكانت التفعيلة يمكن أن تؤدى ايضا هذا المعنى الزائد ، فالمسالة ليست مسالة ضعف الاداة وانما مسالة ضعف الشاعر .. ثم ان الشاعر القديم لم يكن يعرف الوزن والقافية ولكنها طبيعة اللغة العربية هى التى قدمت للشاعر هذا الزاد السحرى ، ثم ان هذا الزاد لايزال يقدم للشاعر الشعبى ، وان كان يتحرك سريعا ليقول انه يدعو الى تغيير القافية ، وعدم ضرورة التزام موسيقى الخليل بن احمد ، ولاينسى أن يرد على الذين يقولون بجهارة الشعر المتجدد أن الدكتور محمد مندور حين درس الشعر المهموس درسه على نماذج من الشعر العمودى ، فالجهارة ليست من خصائص هذا الشعر ، وانما من خصائص الشاعر فى دائرة عصره .

***

والمؤلف الى جانب وقفاته الذكية عند قصيدة النثر ، وعند بعض المدافعين عن «العروضة الجديدة» لاينسى أن يخلص الى قوام ماسماه - نظرية الشعر المتجدد ، فهو يجمل هذه العناصر فى الآتى :

اولا ـ مراعاة اصول فن الشعر العربى دون الخروج عليها ، واصول هذا الشعر فى شكله المثالى هى الأوزان والقوافى دون تقيد باوزان الخليل او تقيد بنظام قافيته .

ثانيا ـ المحافظة على الأصول والقواعد العامة للغة الشعر العربى ـ وهى اللغة الفصحى ـ دون الخروج عليها ، ودون مزجها بالعامية ، او بالفاظ اعجمية ، الا اذا لم يكن للعامى لفظ فصيح ، او كانت هناك ضرورة لتعريب الأعجمى ، ولم يمكن فى الحالين وضع لفظ فصيح مناسب .

ثالثا ـ قيام الشعر على الوحدة الموسيقية فى التقيد بهذه الأصول ، لا على الجزئية الموسيقية لضعفها فى الاداء الموسيقى .

رابعا ـ التجديد المطرد فى اصول شكل هذا الفن ، وفى لغته مع التجديد المطرد فى مضمونه ، تبعا لتجدد الحياة فى الحضارة والثقافة والذوق الى غير ذلك .. والتجديد فى شكل الشعر يكون بتجدد الوحدة الموسيقية ، أى بالابتكار فى الأوزان والقوافى وتنويعها .

خامسا ـ عدم تحديد لون خاص من التجديد ، والاكتفاء فى ذلك بالتوجيه والحكم فحسب ، ليكون الفن حرا فى انطلاقه .

سادسا ـ تقبل هذا الفن للالتزام الحر ، مع التوجيه فيه لما يفيد المجتمع ، ولنبذ مايفسده .

***

هذه هى الخطوط العريضة لكتاب عز الدين الامين ، او بعبارة ادق لوجهة نظر سودانية فى الشعر ، فقضية الشعر ليست احتكارا لبلد دون آخر ، ومما لاشك فيه انه آن الأوان ليقول السودان كلمته ـ لا ان يتلقى هذه الكلمة ـ فى كافة القضايا الادبية والفنية ، وليحدث فيه هذا «الغليان» الذى يحدث الآن فى اكثر من بلد عربى على مستوى الفكر ..

ومع كلمة التحية للأستاذ عز الدين الامين نوجه كلمة عتاب لأن كتابه وان حافظ على منهج المقال الا انه افتقد منهج الكتاب ، ولأنه لم يعالج القضية على المستوى العربى كله ، ولأنه لم يربطها بدوافعها

ولم يضغط بشدة على الذين يعبثون بها بامكانياتهم المشبوهة ، ولان مراجعه لم تكن وفيرة وسخية ، وليته يعلم أن المقالات التى اعتمد عليها للدكتور لويس عوض لم تخلُ من الهوى والغرض ، وانه يجب ان تناقش مانتقل عنهم – مهما كان المصدر – بضراوة عقلية ، ودون أن يكون هذا منقصا من حبنا لهم .. ولعلى لم أكن أذكر هذا مالم يسم ماجاء فى كتابه «نظرية الفن المتجدد» ، ولكن هذه القضية الخطيرة ، وهذا الاهتداء الذكى الذى وصل اليه المؤلف ، هو الذى يجعلنى اتهمه « بالكسل » مالم يعمق هذه القضية بالبحث وبالعودة اليها فى كتاب كبير ، لا فى مقالات تنشر أو تلقى ، أو تذاع ثم تجمع من جديد فى كتاب ..

وانا والشعر والحب للسودان . فى حالة انتظار لهذا القادم الجديد .

ذكريات الخرطوم

«من وحى ثلاثة اعوام من أنضر ايام العمر قضيتها فى ربوع السودان الحبيب » :

سمراء مازال الحنين اليك مشبوب الفكر
وعلى جبينى من حنانك راحة .. ظلت تمر
وبقية من ذكريات عالقات بالبصر .
عن اعين سوداء يبرق فى تاملها الحذر
عن عالم فى قبضة الشمس العنيدة ينصهر
.. تتسلق الجدران والأبهاء فيك خطا الزهر
ويكاد يورق فى لياليك المفردة الحجر !
فبقلب هذا المنجم المزهو شعب مزدهر
رفع الجباه ، وسار منداحا كفجر من صور
فاذا السلام على الوجوه ، وفى اسارير النهر !
غنيت تحت ظلالك الهدباء أسراب الطفولة
كانوا فراشات حيارى يمرحون اليوم طوله
يتواثبون كما تواثبت العصافير الجميله
ويزخرفون الحائط المنتد بالصور الهزيله
.. مازلت اذكر بينهم طفلا يتيما كالخميله
لم يحم صفحة وجهه بيديه من كفى الثقيلة
فيداه فوق قميصه المحزون تلتمسان حيله
واذا بثرثرة العيون تذيب فى عبث نحوله
حتى اذا ماقطعت من روحه قطعا ملوله
ترك القميص لكى يغطى جرح أيام ذليله !

***

انا لست أنسى ليلة عذراء ساجية الجفون
قد سرت فى اهدابها دمعا جريحا مستكين
متذكرا فى قريتى نبضا من البذر الدفين
والقمح يقفز فى وشاح ناعم رطب الرنين
واذا بنخل بين «الشمبات» يهوم فى العيون
وقرى تنام مع البذور على جفون الكادحين
والجدة المجفاء تروى ، والصغار يحملقون
وعلى الروابى من حداء الراحلين شذى حزين
احسست انى فى قرى مصر ادور على حنين
فهويت احتضن التراب بما ملكت من السنين !

***

فى هذه الأرض السخية عشت عمرا مخصبا
اسرعت خلف غزالها حتى ترامى متعبا
وسمعت «دوبيت» تغنى باللقاء ، ورحبا
ورقصت رقص الحرب مهتاجا عنيفا مغضبا
وعلى صدى «دلوكة» الغيت عمرى واثبا
ومع «النوير» وقفت مشدوه التامل معجبا
فهم الوجود الطفل يخطر فى البراءة لاعبا
ايامهم للصيد ، والمرعى الذى قد اعشبا
وصباحهم أكواب نور أترعوها بالصبا
حتى اذا مافرغوها حطموها مغربا !!

***

احبيبتى السمراء .. ياتهويمة الفجر الندى
قالوا «لقد اضحى الهوى والود غير مورد ؟»
فهتفت « هذى كفك السمراء تحضنها يدى
وهواى فى عينيك اما رائح .. أو مغتدى
ألقاه فى مرح الصباح ، وفى ظلال الموعد
ويرى بحقل نائم متوسد بالساعد
وبسنبل ذهب الأصيل بجفنه لم يعقد
وبكرمة شفت عن الساقى ، وكاس مجهد !! »

***

هذا هو الحب الذى سيظل أوفى مورد
من اجله نحيا بقلب خافق متوحد !!

عبده بدوى

تجارب سينمائية جديدة في مهرجان الفيلم السوفييتي ..

بقلم

عبد الفتاح البارودى



منظر من احد افلام اسبوع الفيلم السوفييتى

متى يستيقظ السينمائيون ؟! نفس الأخطاء التى ارتكبوها فى كل المهرجانات السينمائية تكررت فى مهرجان الفيلم السوفييتى الذى أقيم فى الاسبوع الماضى .. وكما أنهم لم يستفيدوا شيئا من المهرجانات السابقة ، لم يستفيدوا من هذا المهرجان أيضا .. لم يحاولوا دراسة أفلامه أو معرفة دقائقه الفنية أو حتى الاستفسار عن الاتجاهات الجديدة التى ظهرت فيه .. ما فائدة عقد المهرجانات الفنية اذن اذا لم نجد فيها فرصة للدراسة المقارنة والدراسة التطبيقية والاحتكاك بالخبرات العالمية ؟!

فى هذا المهرجان أثبتت الاستوديوهات السوفييتية انها حقول خصبة للتجارب الجديدة ، وأثبت السينمائيون السوفييت أنهم يتطورون باستمرار .. ان أفلامهم التى كانت ميزتها الوحيدة هى ارتفاع مستوى عمليات التنفيذ فقط ، برهنت على أنها تمتاز أيضا فى عمليات الخلق والابداع ، وفى التاليف السينمائى ، وفى السيناريو ، وفى ادراك أسرار فن السينما فى مختلف نواحيه ، والمهم هو أن هذا الادراك يزداد نضوجا وعمقا .

***

فمثلا ، فى المهرجان السابق رأينا اتجاها جديدا فى تناول الموضوعات التسجيلية ، وظهر ذلك بوضوح فى فيلم « طشقند » .. رأينا فى هذا الفيلم كيف اختفى « الراوى » ، أو على الأصح كيف تراجع الى الصفوف الخلفية .. لقد كان المألوف فى الأفلام التسجيلية فى العالم كله أن « الراوى » هو العنصر الاول ، ومن أجل ذلك يقف امام الكاميرا وخلفها وحولها ليشرح ما تسجله ، بل انها لا تسجل الا ما يريده ... ولكن فى فيلم « طشقند » فرضت



لقطة من الفيلم السوفييتى « دعك »

الكاميرا وجودها كعنصر أول ، وقدمت لقطاتها بحيوية جعلت منها أداة ليس لمجرد التسجيل فقط، بل للمقارنة الواعية بين المعالم ، وللشرح العميق للمعنويات من خلال تصوير الكائنات والماديات ، وهكذا سار الراوى خلفها على استحياء ، وتحول من بطل الى كومبارس ٠

هذه الميزة تأكدت فى المهرجان الجديد ، وظهر ذلك بوضوح فى فيلم « جولة فى موسكو » ٠٠ ان الكاميرا لم تعد فى حاجة الى كومبارس ٠٠ ان المصور (فاديم يوسوف) والمخرج (جورجى دانيليا) طافا بها فى موسكو ليس للتسجيل ، بل للتعبير عن بهجة الحياة وسعادة الانسان ٠٠ ان من حق الانسان أن يجد السعادة فى العالم كله حينما يتبادل الشعور بها مع غيره ، ومن حقه أن تغمره هذه السعادة وهو «يمتلىء» شبابا وصحة ، حينما يعمل لخدمة الانسان ، ثم يمضى أوقات فراغه مع أصدقائه بقلوب متفتحة للحياة وللأحياء فى العالم كله ٠٠ ان الفيلم صور هذه المعانى فى قصة بسيطة جدا ٠٠ شاب يصل من سيبيريا الى موسكو لتمضية يوم واحد ٠٠٠ هناك آلاف الأماكن والأشياء ٠٠ انه يلتقى بشاب آخر ويقومان بجولة فى موسكو ، وأثناء الطريق يصبح الصديقان ثلاثة ٠٠ وخلال جولتهم تصور الكاميرا ما يشاهدونه من معالم ، وما يواجهونه من مواقف وأحداث ضاحكة حينا ، مثيرة حينا آخر ، صادقة فى كل الأحيان ، وعندما ينتهى اليوم يشعرون بالأسى، فلا بد من أن يفترقوا ، وما المانع من الافتراق ما دامت الحياة فسيحة أمامهم ، ويفترقون على أمل اللقاء مرة أخرى ٠٠ ان الكاميرا صورت هذه الجولة بعمق ٠٠ صورت احساساتهم الصادقة الشابة ، ومن خلال تسجيل هذه الاحساسات بشاعرية سجلت أيضا تفاصيل الجولة فى موسكو ٠

***

تجربة أخرى فى فيلم « هاملت » ، وهى تجربة مختلفة جدا ٠٠ ان تراجيديا هاملت التى كتبها شيكسبير وخلدها تاريخ الفن كاحدى روائعه حاول كثيرون من الفنانين اعدادها للسينما بتفسيرات مختلفة للتراجيديا ولشخصيتى بطليها هاملت وأوفيليا ولسائر شخصياتها التى بلغ شيكسبير غاية الروعة فى تصويرها ، وكانت هذه الروعة ـ ولا تزال ـ من أهم أسباب صعوبة تحويل هذه التراجيديا المسرحية الى السينما ، بل أيضا صعوبة تمثيلها على المسرح نفسه ، ومع ذلك فان التجربة السوفييتية قدمت عملا ممتازا٠٠ لماذا ؟ لأنها قدمت تفسيرات جديدة للتراجيديا وشخصياتها ، ومع ذلك احتفظت بعمق وجلال النص المسرحى الشيكسبيرى٠

انفردت بهذه الميزة عن سائر التجارب ٠٠ فمن المسلم به أن شيكسبير تعمق فى أغوار النفس البشرية حتى أصبحت رواياته التى كتبها منذ حوالى ٤٠٠ سنة خالدة، ليس بمعنى الخلود المتحفى، بل بمعنى صلاحيتها للعرض أينما وحيثما وجد الانسان على اختلاف العصور ، ومنها العصر الحديث وما بعده فى المستقبل ، ومعنى ذلك أن من الصعب جدا تغييرها او تكييفها بتغير المفهومات والظروف ٠٠ صحيح أنها كتبت فى عصر معين وظروف معينة ولجمهور معين ، ولكن تعمق شيكسبير أكسبها الحياة المتجددة ، ولهذا فشلت محاولات كثيرة لمجرد أنها حاولت النظر اليها نظرة محلية تخضع لمفهومات محلية ، ومن أجل ذلك رأينا كثيرين من السينمائيين العالميين يقدمون روايات شيكسبير فى السينما كما هى فى المسرح ، وكأن الكاميرا السينمائية عين بشرية جالسة فى صالة المسرح ٠



منظر من فيلم بولانتا ـ الأوبرا السينمائية السوفييتية ٠٠

ان السيناريست والمخرج السوفييتى جريجورى كوزنتسيف لم يفعل هذا ولا ذاك ٠٠ لم يغير النص الشيكسبيرى وأيضا لم يحول الكاميرا الى عين مسرحية ٠٠ وانما أدرك عنصر العمق ، وقدم هاملت الجديد، هاملت الذى يعيش فى عصرنا وتمتد أعماقه الى عصر شيكسبير ٠٠ ان عشرات التجارب قدمت هاملت الذى يستمع دائما وينتظر دائما ويتردد دائما ، وكذلك قدمته التجربة الجديدة أيضا ، ولكن بفارق كبير ، وهو أن هاملت فى التجارب السابقة كان

مرتبطا بالعصر الذى ظهرت فيه هذه التراجيديا ، بينما هو فى التجربة الجديدة مرتبط بحياتنا فى العصر الذى نعيش فيه ٠٠ انه هنا ليس ذلك الأمير الدنمركى ، بل هو انسان « معاصر » يستمع دائما وينتظر دائما ، ويتردد دائما ، بأعمق ما يكون الاستماع والانتظار والتردد فى الكائن الدرامى المعاصر ٠٠ ان هذه التجربة فى رأيى أروع تجربة فى الحقل السينمائى ٠

***

تجربة أخرى فى فيلم « اشتريت بابا » ٠٠ هذا الفيلم فيه مشاهد متنوعة بعضها طريف وضاحك ، وبعضها يثير الأسى ،ولكن المدهش فى هذه التجربة أنها صهرت الضحك والأسى ، وتفاعلت فيها المشاعر المتناقضة واحتدمت فى قصة انسانية المغزى واقعية الأحداث والتناول الفنى ٠

ان بطل الفيلم طفل عمره خمس سنوات ٠٠٠ ماذا يحتاج اليه أو يشتاق اليه مثل هذا الطفل ؟ اللعب وأدوات التسلية والأصدقاء الصغار ؟ ان الطفل « ديمو » يمتلك كل ذلك ، وله ــ علاوة على ذلك ــ أم ترعاه بحنانها ، ومع هذا يتساءل أين أبوه !! المهم أن وراء هذا التساؤل ادراكا واحساسا بالفراغ الذى لا يملؤه غير أبيه ، ومن هنا أصبح الطفل رمزا فنيا ، وأصبح تساؤله تعبيرا فنيا عن الأسباب التى يفقد فيها بعض الأطفال آباءهم ٠٠٠ لماذا يحرم أى طفل من أبيه ؟! لماذا لاتتوافر السعادة فى الحياة للناس ــ كل الناس ــ منذ طفولتهم ٠٠ ان كل هذه الأسئلة يناقشها الفيلم دون الالتجاء الى الافتعال أو الى الخطابيات ، بل دون توجيه هذه الأسئلة نفسها توجيها مباشرا ٠٠ ان الفيلم يخفى مراميه العميقة اخفاء فنيا يزيدها وضوحا .. كيف؟!

انه يصور لهفة الطفل على أبيه فى أسئلة تبدو مراميها من اصراره عليها ٠٠ انه يلح فى معرفة من أين جاء ؟ وكيف جاء ؟ ولماذا لا يجد له أبا ؟ وتحاول أمه أن تقنعه كطفل بأنها باعت أباه الى أحد المحلات، وليس لديها نقود لتشتريه أو تشترى له أبا ٠٠٠ فماذا يفعل ؟! يتصرف كطفل أيضا ، وبدلا من أن يشترى (آيس كريم) فى الصباح كعادته يحاول أن يشترى أبا ٠٠ ويذهب الى المدينة ، ويبحث فى واجهات المحلات ، فيجد فى احداها تمثال رجل يبتسم ٠٠ ان هذه الابتسامة توحى اليه أن هذا الرجل لا بد ان يكون طيبا وعطوفا ، ويقرر أن يشتريه ، ولكنه يعلم أن فلوسه لا تكفى لشرائه !! ثم يلتقى برجل طويل ، فيعتقد انه أكثر طيبة ولطفا ، ويصارحه بأنه يريد أن يختاره أبا ٠٠٠ ويتأثر الرجل ويصحب معه الطفل ٠٠ كان الرجل على موعد مع فتاة ، ويلتقى بها ومعه الطفل ، وبعد عدة أحداث فرعية ــ ولكنها تعمق القصة ــ يذهبان مع الطفل الى بيته فتستقبلهم أمه وهى غارقة فى دموعها ، بينما يبتهج الطفل لأنه وجد أبا ٠٠٠ وترتبك الأم والأب المزعوم ، وينصرف هذا الأب بعد أن يعد بأنه سيعود مرة أخرى ٠

ان هذه الأحداث الخفيفة ترمز الى أكثر من مغزى عميق ، وهذا النوع من الأفلام يعتبر من التجارب الجديدة فى الأفلام السوفييتية التى أصبحت تحتشد بالقصص الانسانية ٠

***

تجربة أخرى رائعة نراها فى فيلم « يولنتا » ٠٠ هذا الفيلم نموذج للأوبرا السينمائية ٠٠ انه يصور أسطورة الفتاة يولنتا ابنة الملك رينى التى تعيش فى قلعة منعزلة بحيث لايراها أحد ، وهى أيضا لاترى أحدا ، بل لا تستطيع أن ترى بهجة الحياة ، لأنها عمياء ، ووالدها يحاول بكل الوسائل أن يرد اليها بصرها ، ويستدعى عالما عربيا فيخبره باستحالة شفائها الا اذا عرفت أولا أنها عمياء ٠٠ موضوع غنائى ولكنه حافل بالمعانى .. وتتوالى أحداث القصة ــ وكما يحدث فى هذا النوع من القصص ــ يقع فى حبها فارس غريب ، ويطلب منها أن تعطيه وردة حمراء رمزا لالتقائهما ، وعندئذ تتساءل الفتاة عن معنى الوردة الحمراء فانها لا تعرف الألوان ٠٠ ويقع العاشق فى مأزق ، فان أباها كان قد قرر الا يخبرها أحد بأنها عمياء ، وعندئذ يقرر قتل العاشق اذا لم يرتد البصر الى « يولنتا » ٠٠ وتحدث المعجزة ، فان رغبة الفتاة فى الحياة هى التى تحقق معجزة شفائها٠

فى هذا الفيلم تشترك كاميرا فاديم ماس فى تصوير معانيه من خلال تصوير وقائعه وأحداثه ، وتظهر روعة التقاء المخرج فلاديمير جوريكر مع

أوركسترا وكورس البولشوى الشهير، وأداء ناتاليا رودنايا وفيدور نيكيتين ويورى بيروف وموسيقى بيوتر تشايكوفسكى .

وفى هذا الفيلم نرى الادراك الدقيق للفروق بين الأوبرا المسرحية والأوبرا السينمائية .. والواقع أن هذا المهرجان حافل بالتجارب ذات القيمة الفنية الواضحة ، وبالاتجاهات الجديدة فى مختلف الفنون السينمائية ، فكم عدد الذين استفادوا بها من السينمائيين عندنا ؟!

***

كان المفروض أن يعقدوا اجتماعات لدراسة أفلام المهرجان ، لعلهم يقتنعون بأن السينما تحتاج الى دراية وثقافة وخبرة .. لو أنهم درسوا هذه الافلام لتعلموا كيف تتحول المسرحيات والقصص الى السينما ، كما حدث فى فيلم هاملت ، وكما حدث فى فيلم « الأحياء والأموات » الذى تم اعداده من احدى قصص كونستانتين سيمونوف .. ولو أنهم درسوا هذه الافلام لتعلموا ان ممارسة السينما تحتاج الى خبرة واسعة .. ان مخرج فيلم هاملت مثلا أمضى سنوات فى ممارسة مختلف العمليات الفنية ، وبعد أن أخرج روائع متعددة تصدى لهذه التجربة الصعبة ، وهى تجربة اخراج رواية شيكسبيرية للسينما .. كل مخرجى أفلام هذا المهرجان وكل مصوريه من ذوى الدراية الواسعة بالفنون السينمائية .. ومعظم ممثليه من مستوى ممتاز .. وهكذا .

***

أيضا كان يجب أن يدرس الموسيقيون عندنا أفلام هذا المهرجان ، فان الموسيقى أصبحت عنصرا رئيسيا فى الافلام السوفييتية ، ليس فى الافلام الغنائية فقط ، بل فى جميع الافلام .

ما رأى الفنانين عندنا ؟ ما رأى أنصاف المثقفين فى السينما وفى الموسيقى ؟!

عبد الفتاح البارودى

عندما عاد القمر

للشاعر : **على الشباسى**

واهتز مصباح بقلبى عندما غاب القمر
وتماوج الليل الرهيب معانقا صمت القدر
لا شئ الا نظرة تاهت بأفقى المستعر
حملت عيون الذكريات وادمعا لم تنهمر .. !!
ونداء ماض قادر تاهت يداه مع البصر

****

ضلت هنالك فى فم الأيام فى بعد الأفق
لما افاق العمر .. عمرى .. عمره .. ثم اختنق
لم تبق الا همسة مبحوحة ... لم تنطلق
ودعاء أعوام حيارى مزقت وجه الشفق

****

النار والأحلام ... والذنب المطرز بالندم
صنعت على وجه الضياء جدار ليل من ألم
وغدوت ياقمرى الوديع تصارع اليأس الرهيب
وتهيم عبر الأمسيات معانقا وجه اللهيب
كيما تذوب ولا ترى وجه الحياة هنا كئيب
وبحيرتى عمر شقى ضل كالأمل الغريب
ولكم بكيت مع الصباح .. فلا صباح ولا جديد
لم تبق الا نظرة لروائع الماضى الشريد .. !!
لما بنينا بالمنى أحلى وأجمل ما تريد ...

****

واضاء مصباح بقلبى عندما عاد القمر ...
وغدت حياتى غنوة قد لونت وجه الزهر
مثل الجبين المرمرى بوجهك الغض النضر

على الشباسى

الكتب نقد وتعريف

يقدمه : محمد تحسين عبد الحى

الكتاب العربى ومشكلات التطبيق

يجتاز الفكر العربى الآن مرحلة هامة وخطيرة فى مجال تطوره الحتمى نحو الآفاق الجديدة للعمل التقدمى على المستوى الاقليمى والقومى والعالمى .

ولا شك أننا نؤمن تماما باهمية الدور القيادى الذى يمكن أن يقوم به شعبنا فى الجمهورية العربية المتحدة من الناحية الفكرية والعملية .. وذلك فى مجال تاثيره الطبيعى ـ وأقصد بذلك وطننا العربى الكبير ـ ولما كان هذا الدور القيادى يحتاج بالضرورة الى فكر نظرى مرن ـ يدعم دائما بالوسائل والأساليب المتمرسة بالعمل الثورى ـ فان أهم ما يمكن تقديمه فى هذه الفترة الى جماهير شعبنا هو الحلول النظرية لمشكلات حياتها اليومية ـ تلك الحلول التى تساعد المواطن العربى الفرد على تفهم دوره وموقفه الحقيقى من قضية بناء وطنه وتقدمه .. وطالما أننا قد أخذنا على عاتقنا تنفيذ الحل الاشتراكى كاسلوب فى التنمية والتقدم ..

فقد أصبح ضروريا أن ندعم هذا التنفيذ بالفكر النظرى السليم ومن خلال ايماننا بهذا المعنى قولا وعملا .

اتجهنا الى تدعيم الكتاب العرب ـ والكتاب العربى يعتبر المجال الوحيد الذى يمكن أن يحوى بين صفحاته خلاصة ماتوصل اليه الذهن العربى من اجتهادات وتفسيرات وحلول لمختلف المشاكل والقضايا المعاصرة ..

واسبوع الكتاب العربى الذى افتتحه الدكتور محمد عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومى فى الأسبوع الماضى وقد أخذ شكل المهرجان الثقافى على أرفع مستوى ـ بما تخلله ـ ومازال يتخلله من مناقشات رائدة فى مختلف أوجه الثقافة من فكر وأدب وفن يعتبر الى حد كبير تجاوبا عميقا مع ايمان شعبنا المطلق بضرورة الكتاب وأهميته .. ونحن هنا **نقدم اسبوعيا وطوال عام**

ونصف العام الكتب بالوانها المختلفة٠٠وسوف يكون من المفيد حقا أن ناخذ دورنا في أسبوع الكتاب العربي ٠ ولنتكلم عنه ونناقش ما يمكن أن نراه مناسبا بالنسبة للكتاب العربي ٠

لقد اتفقنا أولا على أن الكتاب هو المعبر الحقيقي عن الفكر العربي المعاصر ـ وهو الذي يستطيع الانسان أن يلجأ اليه في مختلف ضروب الفكر والمعرفة ٠٠

وتتذبذب موازين الحكم على الأمور الخاصة بالفكر لاية أمة من الامم من خلال دراسة كتبها المعاصرة لفترة معيشتها التاريخية ٠٠

ونحن نعيش اليوم مرحلة انطلاقتنا الشعبية الجبارة نحو بناء أمتنا على أسس اشتراكية تقدمية ٠ فما هي المرحلة التي وصل اليها فكرنا القومي الذي يمثله الكتاب ٠٠

ان أول الملامح المميزة لمجتمعنا ٠٠ هي عملية المواجهة المباشرة لمختلف المشاكل والقضايا ٠٠ فهل يساير فكرنا القومي هذا المستوى الرائع للعمل التنفيذي ؟

ان الكتاب كوسيلة للتعبير يحمل خلاصة أفكار الفئة القيادية للجماهير ٠ وهم المفكرون العرب ٠٠

ولكنني من خلال معظم الكتب التي قدمتها هنا على صفحات الرسالة ـ وذلك بخلاف النزر اليسير ـ استطيع ان اقول أن معظم مفكرينا يحاولون في كتبهم واعمالهم الفكرية أن ياخذوا دائما جانب العرض فقط ٠٠ للمشاكل والقضايا التي يتعرضون لها ٠٠ هم يعرضون ـ ولكنهم لايقدمون أية حلول ٠٠ والملاحظ دائما ان معظم كتابنا ومفكرينا ياخذون دائما جانب الحذر بخصوص ما يتصورونه وهمـا بالمسئولية المترتبة على ما يقولون ٠٠

ومن هنا جاءت معظم الكتب التي تعالج قضايا شعبنا الداخلية والخارجية ٠٠ ضعيفة وغير قادرة على مواجهة المطالب الملحة للقارىء العادي ٠٠ في الوقت الذي يترك فيه مفكرونا القارىء العربي فريسة سهلة للافكار الوافدة عبر الكتب المترجمة التي تحمل في طياتها تجارب غيرنا من الشعوب ٠٠ اننا هنا لانرفض حصيلة تجارب غيرنا ٠٠ ولكن لابد لنا أن نكون محصنين بافكار هي ملك لنا ـ لكي نستزيد عليها بافكار وتجارب غيرنا ٠٠ أو ربما ، نعدل فيها ٠

ان الفكر الاشتراكي ليس ملكا لشعب من الشعوب وهو كذلك ليس ملكا للدولة كجهاز للحكم ولكنه ملك للمواطن العربي الفرد الذي يجب أن يمارس حياته من خلال فكر عقائدي منظم ـ لا من خلال تهويمات لا أول لها ولا آخر ٠٠

اننا الآن في أمس الحاجة الى الكتاب العقائدي الذي يخرج من ذهن مفكر عقائدي ٠٠ في الوقت الذي يجب أن نرفض فيه كل كتاب ملىء بالمديح والاطراء والتملق ٠٠

لأن ثورتنا العقائدية الآن ليست في حاجة الى تأييد عاطفي أجوف بقدر ما هي في حاجة الى دفعات فكرية قوية في صلب تجربتها الانسانية لكي تستقر في عقل المواطن العربي الفرد ـ لا لكي تكون عبادتها وثوريتها على هامش عاطفته ٠

لقد أصبح ضروريا بل وحتميا بالنسبة لنا أن نحاول عن طريق الكتاب ٠ ٠ أن نبني علاقات اجتماعية جديدة في التعامل الفردي ٠٠ بمقاييس اشتراكية تختلف تماما عما كان يسود مجتمعنا من علاقات اجتماعية متعفنة بمقاييسها وتطلعاتها الذاتية المغلقة ٠٠٠ مهمة المفكر العربي أن يصل الى عقل المواطن العربي عن طريق الكتاب العقائدي المدروس بأساليب جديدة في حياته اليومية ٠٠ ان هناك من الامور الهامة مايجب توضيحه ودراسته ٠٠ من هذه الامور مثلا ٠٠ هل تعني الاشتراكية بالضرورة تحولا مباشرا الى الماركسية ٠٠ ؟

وهل يعني الاهتمام والالتزام بأشياء معينة تجاه افريقيا أننا تحولنا عن قضية وطننا الكبرى وهي الوحدة ٠ ؟ وما هو الفرق بين الاتجاه الجدي نحو افريقيا وبين الايمان المطلق بوحدة شعبنا من المحيط الى الخليج ٠٠ ؟

ثم هناك المشاكل الناجمة عن التطبيق الاشتراكي ٠٠٠ وخطط التنمية ومشروعاتها المتوالية ٠٠ أين هي الدراسات الخاصة بفائض القيمة الموجه للاستثمار والتنمية ٠٠ وماذا يكون أمر مجتمعنا لو أن فائض

القيمة هذه وجه الى الانفاق العام فى صورة خدمات واجور مرتفعة ٠٠ أين هى هذه الـكتب التى يهم المواطن العربى الفرد أن يعرف عنها الشيء الكثير لكى يكون مقتنعا على الاقل بما يمارسه من عمل ٠٠ هو فى الاساس جزء من العمل الكبير الذى يقوم به المجتمع الذى ينتمى اليه ٠٠ !!

ان اهمية الكتاب العقائدى المدروس تنبع من كونه يعالج ما يتعرض له من قضايا على اسس موضوعية سليمة ــ ثم انه يواجه القضايا بطريقة اكثر ايجابية بالاضافة الى انه من خلال مزيد من هذه الكتب نستطيع أن نستخرج ما يمكن تسميته بخطة عمل موحدة ــ تكون ملزمة وقادرة على تغذية الذهن العربى بالطاقات الفكرية المرنة والمتجددة لكى تساعده على مواجهة ما يصادفه من المشاكل والقضايا التى تنتج دائما عن التطبيق العملى ٠٠

ولن نستطيع أن نصل الى هذا النوع من الكتاب العقائدى الا اذا وجد لدينا أولا ــ هذا الفكر العقائدى المؤمن والذى يكون لديه القدرة على تحمل مسئولية ما يكتب عنه ويناضل من أجله ٠

ولا شك أن تخصيص الجائزة ــ التى أعلن عنها الدكتور محمد عبد القادر حاتم ــ التى اطلق عليها جائزة الثقافة والارشاد القومى ــ لأحسن الكتب فى موضوعات التنمية الاقتصادية ومشكلات التصنيع والزراعة والمجتمع الريفى ــ وأحسن كتاب فى مكتبة الاطفال ٠

أقول ــ ان هذه الجائزةـ وبالموضوعات التى سوف تمنح من أجلها انما تمثل روح المجتمع الذى نعيش فيه من حيث اهتمامنا بهذه الموضوعات الجديدة والهامة فى حياتنا ــ والتى نرجو أن تكون فاتحة أمل فى ازدهار مثل هذه الدراسات وتطورها فى سبيل خلق وتدعيم الفكر العربى الاشتراكى ٠

ان اسبوع الكتاب العربى فكرة وواقعا عمليا ــ يعتبر خطوة جديدة على الطريق الموصل الى الكتاب العربى الجيد الذى يتفق فيه الشكل مع المضمون من حيث القوة والادراك ومن حيث التأثير المباشر فى ذهن المواطن العربى الفرد وتوجيهه الى ما يفيد مجتمعه ويرفع من شأن أمته ٠٠

ولا نستطيع هنا الا أن نحيى دور النشر العربية المشتركة فى أسبوع الكتاب العربى من خارج حدود الجمهورية العربية المتحدة الاقليمية ٠٠ ولعل اشتراك معظم الاطراف المعنية بمستقبل الفكر العربى الوحدوى فى مؤتمر واحد ومناقشات واحدة يكون رائدها الارتفاع بمستوى الكتاب العربى وبالتالى الارتفاع بمستوى الفكر القومى الموحد ٠٠ على الطريق الصحيح الموصل الى الوحدة العربية الشاملة ونحن هنا يحدونا الامل فى الوصول من خلال المناقشات الحية الفعالة ــ الى ما يفيد مستقبل فكرنا القومى ٠٠ على أسس قوية مدروسة ٠٠٠

ان شعبنا يؤمن برسالته الانسانية فى عالم اليوم ورسالة شعبنا هى نضاله المستمر من أجل الكفاية والعدل والحقيقة ٠٠ نضالا تحيك لحمته وتضبط سداه نضالات وأفعال صغيرة ــ هى فى مجموعها مجمل تفاصيل حياتنا التى تشكل فى نفس الوقت سعيا حقيقيا ويوميا نحو العدالة والحرية وتجسيدهما ٠٠

وكم يكون للفعل الصغير البسيط معنى ودلالة اكثر صدقا وصحة من كثير من الافعال الكبيرة المعقدة ذلك لما يتطلبه الفعل البسيط الصغير من جهد ومعاناة واخلاص مع النفس وتجاه النفس ، قبل أن يكون مع الغير وتجاه الغير ٠

لنا رسالة ــ ذلك أمر لاشك فيه ٠٠ ونضالنا اليوم جزء من تلك الرسالة ــ ذلك أمر ينبغى الا يكون هناك شك فيه أيضا ٠

فلنجعل من نضالنا تعبيرا حقيقيا وكليا عن رسالتنا بان نحاول أن نعيش تلك الرسالة ومعانيها وقيمها ٠

ان نحاول بصدق واخلاص ما استطعنا الى ذلك سبيلا وحينئذ لانكود مجرد (حملة) رسالة وانما أهل رسالة عربية اشتراكية جديرين بحملها ونقدم كل لحظة مبررا جديدا وفذا لجدارتها تلك ٠

تحسين عبد الحى



الماء العذب من البحار والمحيطات

بقلم
عبد المنعم أبو السعود

هنا ماء وهنا اذن توجد الحياة

وهناك جدب وهناك اذن لا توجد الحياة .

هكذا عاش الانسان منذ اول خلقته ينتجع موارد الماء العذب ليشرب ويسقى ماشيته ويزرع ارضه . وكان طبيعيا أن يقتصر فى اول حياته على موارد المياه الطبيعية من انهار وينابيع فيسكن حولها وينتفع بها فى حاجياته فحسب . ولكن مضت حقبة من الزمن وتكاثر عدد سكان العالم وجاسوا خلال الارض بعد ان تشعبت اغراضهم فكيف عاشوا ؟

وجدنا ان التجارة اقتضت منهم ان يقطعوا مسافات بين موضع يتكاثر فيه الناس وموضع آخر تفصلهما صحراء ولم تكن وسيلة النقل تسعفهم فالجمل هو الدابة التى يستقلونها فى رحلاتهم وهو حيوان بطىء فى سيره ولذا كانت رحلاتهم تستغرق الايام والليالى .

هذه الرحلات كانوا يحتاطون خلالها فياخذون معهم ماءهم . لكن الصحراء رقعة غير مخططة الدروب ولا ثابتة المعالم ولذا فان السير فيها يعرض السائر الى أن يضل الطريق خصوصا اذا لم يكن من اهل الصحراء ولم تكن له بها سابقة معرفة . لقد اوجدت الصحراء منذ القدم حرفة حذقها بعض الناس وهى قيادة القوافل وكان هؤلاء يتفاوتون مهارة ويشعرون بخطورة عملهم واهميتهم بالنسبة للمسافرين فتغالوا . غير ان كل قبيلة كانت فى اغلب الاحيان تحتفظ من بين ابنائها بمن يمتهن هذه الدلالة ليقوم بهدى قوافلها كلما اقدمت أو اقدم نفر منها على رحلة عبر الصحراء .

وتكاثرت الرحلات ووقعت كوارث هلكت فيها القافلة باجمعها او معظمها وفقد الناس والجمال والبضائع . وسجل التاريخ للانسان انه كان يهرب من الموت عطشا فى مثل هذه الرحلات بتصرف حميد حين كان يلجأ لما يعرفه عن الجمل من انه حيوان مجتر فيقوم بشق بطنه ليستولى على ما يختزن من ماء فيها ليشربه . وكذلك افادت هذه الرحلات حين تكاثرت فى ان تمكن الانسان من مسح الصحراء فعرف ما بها من عيون ماء طبيعية كان يعتبرها محطات يهرع اليها خلال الرحلة . وقد كانت هذه العيون مع الآبار التى حفرها هى التى تحدد خط السير بين مكان وآخر وعن طريقها بدأت الدروب تستقر وتعرف ، ويتعارف الأدلاء عليها بدأ شىء من الاطمئنان يحل بسير القوافل . فالذى لا شك فيه انه ستمر بها قافلة اخرى طالما هى تسير فى الدرب المعروف قادمة من المكان الذى تقصده أو تلحق بها قافلة تبتغيه . وهكذا كانت تتعاون القوافل عند الكوارث . حقيقة لم يكن هناك اسعاف بالمعنى المفهوم اليوم انما قيام التعاون بين القوافل ادى الى تقديم المعونة فى احوال كثيرة وكان اسعافا فى هذه الحالات .

ومن اقدم المهن التى امتهنها الانسان الرعى ، وقد كانت هذه المهنة هامة بالنسبة للزمن القديم فعن طريقها امكن ان يجد الانسان ما يحتاجه من دواب الحمل ومن الماشية التى يقتات بلحومها وينتفع بالبانها وبصوفها ووبرها وكذلك بجلودها فى صنع ملابسه . ولم تكن دراسة الانسان لجغرافية الارض قد كملت كما لم تكن معلوماته وفيرة عن معالمها فقد كان سكان البقعه يجهلون ان بجوارهم شكانا آخرين كما وقفت المحيطات والبحار دون كشف الارض . هذه الحالة التى عاشها الانسان فى حقبة من الزمان وهو محدود المعرفة عن الارض جعلته يسعى بماشيته منتجعا الاماكن التى يجد فيها الكلأ حيث تسقط الامطار على الارض فتهتز وتنبت العشب . وقد ساعدت هذه المهنة على كشف كثير من معالم الصحراء بل هى فى الواقع التى حددت ايسر الطرق لعبرها بما يقدمه الرعاة من كشوف عن العيون والآبار التى يعثرون عليها اثناء تجوالهم بماشيتهم وعرف الانسان المركب وسار فوق الماء ولكنه كان يحمل معه ايضا كمية منه ليشرب منها خلال رحلته فوق الماء المالح .وكما ركب البحار متنقلا من مكان لآخر مهاجرا او متاجرا كذلك استغل هذه الرحلات ليعمل كصياد لما فى جوف الماء من اسماك وقواقع واحجار كريمة .

وقد استغل مشاهداته فى كيفية الحصول على الماء العذب . فعلى الشواطىء شاهد الماء الضحل وعلى حوافه وجد الملح . اذن فالملح ممكن فصله عن الماء . لكن عن اى طريق ؟ لم يكن يعرف ولكن الوسيلة الطبيعية المؤثرة الوحيدة كانت الشمس فهدته الى فعل الحرارة فى التبخير . وبدأ يستغل ذلك فى رحلاته المائية . لقد بدأ فصل الماء العذب من ماء البحار خلال رحلاته التى كانت تستغرق الشهور يوم أن كانت مراكبه تسير بقوة اندفاع الرياح وكذلك بقوته الجسمانية التى يحرك بها المجداف . وكان هذا الفصل عن طريق تكثيف البخار . وكانت هذه هى أول محاولة يقدم عليها ليستغل المياه المالحة فى الحصول على مياه عذبة .

وبمرور الزمن تطورت حاجيات الانسان وكثرت وتكاثر الناس واصبحت رقعة الارض التى تجرى فيها الانهار لا تفى بحاجة الانسان واخذ يفكر فى اقامة السدود لكى ينتفع بمياه الانهار لآخر قطرة بدل ذهابها الى مصبها فى محيط او بحر . والمتتبع لتاريخ القرن العشرين يجد هناك مشاكل كثيرة نشأت بين الدول التى تستغل مجرى مائيا واحدا وحدثت بينها ازمات واستدعت الكثير من الجهد لحلها والخروج منها ، بل قامت حرب فى مناسبات بسببها ونحن نعيش اليوم فى الوطن العربى فى ازمة ايضا من جراء نهر الاردن الذى تحاول اسرائيل ان تغير مجراه لتستولى على مياهه .

على ان تقدم العلم اوجد لنا حلا جديدا يوفر المياه العذبة عن طريق الحصول عليها من مياه البحار والمحيطات . وبطريق تطوير عملية التقطير التى عرفها الانسان منذ الفى عام تقريبا ان الابحاث العلمية اليوم ركزت بشكل ملحوظ على توفير الغذاء لسكان العالم الذين يتكاثرون وبعد ان استغلوا رقعة الارض التى ترويها مجارى المياه العذبه لابد وان يجدوا مياهاعذبة من مصادر اخرى تروى رقعة من أراضى الصحارى غير المستغلة حاليا لعدم توافر الماء العذب لريها .

لقد تقدم علم الانسان وعرف ان اختلاف درجة الغليان كفيلة بفصل المخلوطات فاذا ما كان . كما هو الحال فى الماء المالح . هناك ملح ذائب فى ماء وغلى هذا الماء نجد ان الماء يغلى فى درجة ١٠٠ مئوية فيتبخر ونتيجة لتبخره يبقى الملح راسبا . والذى لا شك فيه أن اختلاف درجة الغليان هى التى مكنت من الحصول على بخار الماء . وحقيقة اخرى هامة عرفها كذلك من مشاهدات الطبيعة ، فقد عرف ايضا ان الماء يغلى على سطح الارض وفى مستوى سطح البحر فى درجة ١٠٠ مئوية ولكنه يغلى على المرتفعات فى درجة اقل . عرف ذلك حين صعد الجبال وغلى الماء فى درجة اقل ومعنى هذه الظاهرة انه كلما قل الضغط قلت درجة الحرارة اللازمة لغليان الماء وآخر ما قدم فى هذا الميدان هو تبخير الماء بطريقة رفع درجة حرارته وهو داخل اناء مفرغ جزئيا ليغلى فى درجة اقل من ١٠٠ ثم يكثف البخار بالتبريد بعدئذ .

وعملية التقطير الحديثة تتم على ٣٦ مرحلة تبدأ بدخول ماء البحر فى درجة حرارته العادية ، ثم ترفع الى درجة ٨٢ مئوية اى ١٨٠ فهرنهيت حيث تتبخر . وتلاحظ أن البخر قد تم فى درجة حرارة

اقل من ١٠٠ مئوية ذلك لان الماء يدخل الى اناء مفرغ حيث ينخفض الضغط عن الضغط الجوى خارجه ، وبالداخل يوجد فاصل يقسم الغرفة الى جزءين احدهما يعلو الماء المالح ويعلوه البخار المتصاعد منه الذى ينفذ الى الجزء الثانى من الغرفة حيث يمر على مكثف بارد يخفض درجة حرارته ، ثم ينتقل البخار الى غرفة تالية درجة حرارتها اقل من الاولى ، وهى ايضا مقسمة بنفس طريقه الغرفة الاولى وباسفلها ماء البحر ودرجة حرارتها ٧٠ درجة مئويه اى ١٦٠ درجة فهرنهيت ، وهكذا ينتقل البخار من حجرة الى اخرى حتى تنتهى العملية اخيرا بعد ٣٦ درجه بماء عذب .

وفى بداية العملية نلاحظ ان الحرارة تبدا من الصفر ، ولذا فان بداية التسخين تحتاج لفترة طويلة . لكن بعد مرور فترة زمنية تبدا المواسير فى اكتساب حرارة تنقلها الى المياه الداخلة الى الجهاز والمارة بها وبذا يقل استهلاك الوقود .

على ان اهم مايعترض هذه العمليات هو ترسب المواد الذائبة وكلها املاح معدنية كثيرا ما تتفاعل مع المعدن الاساسى للجهاز فيتآكل كما وانها تترسب بمرور الزمن وتسد المواسير او تمتص الحرارة ، وبذا يكون استهلاك الوقود اكبر . وللتغلب على هذه الرواسب لابد من اذابتهاوالطريقة المثلى أن تتم بواسطة الكيماويات التى تتفاعل معها فتذيبها دون ان تسبب اضرارا لاجزاء جهاز التقطير . وقد دلت المشاهدة على امكان اذابة هذه المواد اذا كانت مترسبة فى درجة حرارة لاتزيد عن ٩٢ درجه مئوية فان زادت عنها فان المواد التى ترسب تكون اكثر صلابة وتستدعى اذابتها معالجة بمواد اكثر فاعلية .

وبعد فحاجة الانسان الى استثمار أراضى الصحارى فى زراعات المحاصيل اللازمة لغذائه جعلته يحاول ويجتهد فى اكثر من ميدان . لقد بدأ عن طريق الاقمار الصناعية فى محاولة التحكم فى سير السحب وجعلها تسقط الامطار على جهات معينة أثناء مرورها عليها . لكن هذهالتجربة ليست من الدقة بحيث يمكنه ان يرتكن عليها . فهو فى حاجة الى سحب. فان لم يكن البخر كافيا فى فترة معينة فلن تتكون. ثم هو فى حاجة لان تمر فوقجهات معينة وقد يمر الهواء عليها وهو خالمن السحب وبذا لا يمكن الانتفاع بالتجربة وبالتالى لا يمكن اسقاط المطر فوق هذه الجهات الجافة . وظاهر هذه التجربة انها لا يمكن الانتفاع بها الا فى ظروف محدودة هى ان يتكاثف البخار فوق منطقة جافة فى حاجة الى المطر اما مرور المزن فوق الجهات التى تجرى فيها المياه فلا فائدة فى استعمال هذه الطريقة فوقها وطبيعة تحركات الرياح فى العالم وتوزيع درجات الحرارة لاسبيل للانسان فى السيطرة عليها او تعديلها . ولذا فانه يقف منها مكتوف اليدين ، وليس أمامه الا ان يفخر بامكانه اسقاط المطر ولكن حيث يمر السحاب وليس حيث يريد .

ولما ان فشلت تجاربه الحديثه عاد الى تجربته القديمة ومعارفه التى درج على الا ستفادة منها من آلاف السنين والتى يتحكم فيها ، نعم عاد الى تحسين طريقة التقطير وجعلها تنتج كمية اكبر خصوصا والبحار والمحيطات تحوط العالم ويمكن الارتكان على انتاج محطات التقطير التى تقام ، وهى معروفة الانتاج وعلى ضوئه يمكن تحديد المساحة التى يقوم بزراعتها ومن ثم يطمئن الى ان ماسيزرعه لن يموت وان الماء اللازم للرى ولحياة المقيمين بالمنطقة لن يتعرض لخطر .

ان نجاح محطات التقطير خصوصا بعد معرفة المحرك الذرى الذى سيخفض التكاليف سيكون الوسيلة الى هجرة الانسان بعيدا عن ودبان الانهار التى شهدت حضارته القديمة والحديثة ، وستقوم مدن وحضارات فوق الرمال التى عاشت منذ بدء البشرية تفخر بعجز الانسان عن قهرها ولا شك ان هذا الانتصار يوم يتم سيكون منقذا للبشرية التى يتكاثر عددها ، وواجب أن يقابل هذا التكاثر باتساع فى رقعة الارض المزرعة والتى لا سبيل الى زيادتها ما لم نوفق الى مصدر جديد من ماء عذب للزراعة ، وامامنا المحيطات والبحار وهى أربعة امثال مساحة الارض فهى معين لا ينضب من الماء يمكن استغلاله لخير البشرية ، ومواجهة زيادة افرادها على مر الايام .

«عبد المنعم أبو السعود»

قراءات فى المجلات العربية

يقدمه : محمد العوانى



مع الكتاب العربى :

افتتح الدكتور عبد القادر حاتم يوم الاثنين ٩ من نوفمبر ١٩٦٤ اسبوع الكتاب العربى الثانى ، ولا شك أن اهتمام الدولة على هذا النحو بالكتاب العربى يدل على ايمانها العميق بان الثقافة اصبحت ملكا للشعب يستخدمها اداة يواجه بها الحياة ، وسلاحا فعالا يوصله الى الديمقراطية السليمة .

لقد أصبح مفهوم الثقافة الآن يختلف عن ذى قبل، فقد كانت الثقافة فى الماضى متحالفة مع الاقطاع والاستعمار والرجعية من أجل اذلال الشعب ونهب أرزاقه ، واحتكرتها لمصلحتها الخاصة تلك الفئة القليلة من الشعب . ويصور الاستاذ يحيى أبو بكر مفهوم الثقافة فى عصرنا الحاضر بأنها « لم تعد ترفا لا تتمتع به الا الاقلية التى استحوذت على كل شىء ، ولم تترك لجماهير الشعب الا الكثير من الفقر والجهل والمرض والقليل من كل مايجعلها قادرة على أن تدور بالساقية معصوبة العينين لتعطى لتلك الأقلية الخير الوفير ، وتظل هى محرومة من كل شىء » لذا فقد أصبحت الثقافة ضرورية لنا كضرورة الطعام والماء .

وعلى كل فنظرة الدولة الى الثقافة واهتمامها بها جعلتها تعمل على نشر الكتب القيمة بأثمان زهيدة فى متناول كافة المواطنين .

ودارت عجلة المطابع ليلا ونهارا لتقدم الغذاء الفكرى والروحى لجماهير شعبنا وتمدها ـ على اختلاف ـ مستوياتها ـ بأنواع مختلفة من الكتب والدوريات المسلسلة .

ومن أولى المطابع التى جندت نفسها لخدمة الكتاب العربى مطابع الدار القومية التى أصبحت تقدم للقارىء العربى كتابا كل ست ساعات فى شتى أنواع المعارف من علوم وآداب وفنون ومن هنا فقد سدت فراغا هائلا فى مكتبتنا العربية بما تنشره للعامل والفلاح والطالب والجندى وغير ذلك من الكتب الهامة الهادفة .

وتسهم الدار المصرية للتأليف والترجمة بقسط وافر فى معاونة الدار القومية بما تقدمه من تراث الانسانية وروائع المسرح العالمى وأعلام العرب والمكتبة الثقافية ، كما تقوم الى جانب اصدار هذه السلاسل بنشر كثير من أمهات الكتب التى أصبح القارىء العربى فى مسيس الحاجة اليها يقتنيها بأثمان زهيدة لا تؤثر على نظام حياته المعيشية .

ولذلك نرى أن الدولة حين تقيم مهرجانا للكتاب العربى فانها ترصد الجوائز للناشرين وتتيح الفرصة لجمهور القراء أن يلتقوا بكتابهم عن طريق اللقاءات المباشرة كما أن اقامة هذه المهرجان تعد بمثابة مسح

ثقافى يدلنا على مدى احتياجاتنا من أنواع المعارف المختلفة .

ونعرض بهذه المناسبة ما قالته مجلة العلوم فقد نشرت مقالا عن « الكاتب العربى والقارىء العربى » كتبه « جليل كمال الدين » يقول عن الكاتب العربى بانه هو الذى يندمج معنا ويلتحم بقضايانا ويتحسس مشاكل مجتمعنا ويعرضها بأسلوبه مبتغيا حلها أو مشيرا الى هذا الحل سواء كان ذلك عن طريق القصة او المقالة أو الشعر أو غيرها من الادبيات المترجمة والمؤلفة والبحوث الاجتماعية والاقتصادية والعلمية .

ويبين الكاتب أن المهمة الضخمة التى تلقيها المجتمعات الحديثة على دور النشر تجعل من الواجب عليها أن تراعى الربح المعقول وتمول اى كتاب قيم وتشجع أى كاتب طيب بغض النظر عن اسمه وشهرته ، وأن تقف بجانب الحقيقة والاكتشافات الفكرية السليمة لأن « الاجيال تحاسب والاغراء المادى اذا كان ينفع مؤقتا لكنه ينهار ويفتضح أمام محكمة القراء » .

ويتحدث المقال عن وسائل رواج الكتاب ويعد منها الدعاية له والتعريف به اذ أن كثيرا من الكتب القيمة لا تجد طريقها الى النجاح لأن بعض القراء لا يعرفون عنها شيئا ، ومن ذلك ايضا النقد الموضوعى للكتاب بالروح العلمية والمقاييس السليمة اذ أن النقد سلاح بالغ الخطورة فى مستقبل كل من الكاتب والكتاب، لذا فواجب النقاد عندنا أن يربأوا بأنفسهم عن تلك المجاملات الزائفة ، والا تتسرب تحت ستار النقد ـ المنافع الشخصية والكلمات اللاموضوعية .

اننا فى حاجة الى النقد البناء الهادف خاصة فى هذه المرحلة من بنائنا الحضارى حتى نتبين معالم الطريق، ونعرف مواقع خطونا ، والى أى اتجاه نسير ؟

واذا كانت هذه هى أسباب توزيع الكتاب العربى ورواجه فما هى الاسباب التى تعترض طريقه وتؤثر على سيره فى بلداننا العربية ويرجع كاتب المقال ذلك الى الفقر الاقتصادى الذى منيت به بلداننا العربية من جراء الاستعمار كما أن الحرب التى يشنها المستعمر على ثقافتنا الوطنية ليشككنا فى جدوى تراثنا كانت ايضا مما يعطل انتشاره ورواجه واذن فواجبنا ازاء هذه المحاولات أن نناضل من أجل كتابنا والارتقاء به حتى يحتل مكانه فى كل بقاع العالم حاملا بين طياته آداب جماهيرنا العربية، خاصة ونحن فى عصر اختلاط الارض بالفضاء مما يحتم على كتابنا أن يكتبوا بصدق واخلاص وجدية وموضوعية كما يتطلب من الناشرين أن يقدروا المصلحة الوطنية ويضعوها فوق كل اعتبار .

ان مهرجان الكتاب العربى الذى أقامته جمهوريتنا يعد عملا رائعا تهدف من ورائه الى تحطيم الاقطاع الثقافى واتاحة المتع الثقافية لجميع المواطنين .

معركة بين النقاد :

تحدثت مجلة الآداب عن المعركة التى أثارها الاستاذ محمود أمين العالم حول مسرحية « الفرافير » للدكتور يوسف ادريس و « أحلام الفارس القديم » ديوان صلاح عبد الصبور وتحت عنوان « قضايا الأدب والأدباء » بين « غالب هلسا » أن الاستاذ محمود العالم أراد أن يتجول فى أحد شوارع القاهرة وكانت النشوة تملأ قلبه والفرح يثلج صدره مما يراه حوله من دخان المصانع وزيادة الانتاج والبسمات التى تعلو الوجوه ولكن اذا به يجد نفسه أمام مسرح الجمهورية بحى عابدين وتقوده قدماه داخل المسرح ليشاهد مسرحية « الفرافير » ويخرج منه ساهما . ثم يتناول الديوان الاخير لصلاح عبد الصبور « أحلام الفارس القديم » واذا به يزداد حيرة وسهوما ويسائل نفسه « ألا يزال فى هذا العصر حزن وأسى ومرارة » .

وينتقل الكاتب الى الدكتور لويس عوض الذى اشار بتعال الى أن بعض الناس يتساءلون : كيف نتحدث عن الحزن ونحن نبنى السد العالى.. ويجيب لويس بأنه سيدرس الديوان كعمل فنى وحسب ، ولكنه لم يفعل شيئا من هذا وراح كما لاحظ الدكتور عبد القادر القط « يؤول المضامين النفسية والدينية فى الديوان بشىء غير قليل من التعسف متحدثا عن الهيولى والقوة الاولى وشىء وسيط ثالث بينهما ، ويعرض باسهاب غريب رسالتين شعريتين باللغة اللاتينية تبادلهما قسيسان فى القرن الثالث

عشر يفاضلان فيهما بين المرأة المجربة والعذراء حتى استغرق الحديث عن الرسالتين أكثر من نصف المقالة ، كل هذا لكى يربط بعد ذلك بين هذا الموضوع واعتقاد صلاح فى الخلاص بالحب » .

ويمضى الكاتب فى حديثه مبينا أن الدكتور لويس انكر ما سبق أن اعلنه من أنه سيدرس الديوان من الناحية الفنية - واذا به يقول « ان دراسة الجوانب الفنية للعمل الادبى تحتاج كتابا لا مقالة » ، ويوحى بما يزيد الامر غرابة من أن الدراسة الفنية تنصرف الى « جزئيات البيان والبديع والبلاغة والعروض » .

ويعقب « هلسا » على هذا متسائلا « ما الذى أنكره الدكتور لويس على محمود العالم فى هذه الحال ؟ الأنه لم يتوصل الى هذه النتيجة الباهرة وهى أن صلاح عبد الصبور يداوم قراءة التوراة والانجيل وأنه متأثر بهما الى أقصى حد ؟ » ، ولقد فسر لويس رواية « الطريق » لنجيب محفوظ وقال عنها مايشبه هذا الكلام .

ويضيف الى ذلك « أن الدكتور لويس عوض يواصل السير فى طريق اشتقه لنفسه منذ زمن ، وهى مهاجمة الفكر الاشتراكى بأسلوب شائع معروف وذلك بأن يعرضه مشوها حتى يصبح بامكانه مهاجمته والتعالى عليه وذلك واضح فى كتابه (الاشتراكية والأدب) حين دعا الى استبدال فكرة الواقعية الاشتراكية بفكرة القبول المسيحى » .

وتساءل الكاتب مرة أخرى لماذا اثارت كلمات محمود العالم كل هذا السخط وسببت له التجريح الشخصى دون أن تناقش آراءه ، مع أن غيره من الأدباء كاحسان عبد القدوس انكر ما فى ديوان صلاح من الحزن ولم يستثر هذا أحدا ، بل ان الهجوم الذى واجهته مسرحية « الفرافير » من محمود العالم لم يجعل الدكتور ادريس ينفعل مثل هذا الانفعال .

ويقدم الكاتب نموذجا من شعر صلاح يصدره بأن الديوان قدم لنا بمستوى عال من الشاعرية وبالفاظ عاطلة من كل زخرف وغنائية وتراكيب خشنة طازجة - عريا وصدقا فريدين ، « أن افتقاده لدور فعال مؤثر فى المجتمع يرتبط بضجر كابوسى وتحلل نفسى مخيف ، انه اختناق فى سرداب لا يحرك ركوده نسمة »

الصمت راكد ركود ريح ميته

حتى جنادب الحقول صامته

وقبة السماء باهته

والأفق أسود وضيق بلا أبواب

منكفىء من حيثما التفت كالسرداب

ويقول أيضا :

الله لو جلست فى ظلالك الوارفة اللفاء

اجدل حبل الخوف والسأم

وما دام الحديث عن شعر صلاح قد وصل الى هذا النقاش والجدل وأن النقاد قد اختلفوا من أجله وقامت بسببه بينهم المعارك الأدبية الشخصية منها والموضوعية فانه يحسن أن ننتقل الى موضوع آخر يتحدث أيضا عن شعر صلاح ليكون فى هذا مزيدا من الضوء على هذا الشعر . فكتاب « الشعر العربى الحديث وروح العصر » الذى الفه جليل كمال الدين تصدى لدراسته والتعريف به الأستاذ « عبد الجبار عباس » الذى اشار الى ان صلاح كان من الشعراء الذين تناولهم هذا الكتاب وخاصة فى ديوانه «أقول لكم» ومن المآخذ التى اخذها الكاتب على المؤلف انه رغم شغفه العميق بالمقارنة والتمثيل لاكبر عدد ممكن من الشعراء العرب والأجانب الا انه «لم يلتفت الى تأثر صلاح باليوت رغم وضوح هذا التأثر فى شعره » وأنه « رغم ثقافته وحداثة تجربته يهرب من التعبير المباشر الى التعبير باللوحة حتى اذا حاول التعبير باللوحات اخفق واضطربت رؤاه « الظل والصليب » ، كما أن قصائده « تفتقر الى الهيكل، والتنظيم الذى نجده فى « المسيح بعد الصلب » و « سدوم » و « بغداد والموت » لانه لا يعبر باللوحة او بالرؤيا وانما استعمل كما يقول المؤلف فى ص ٤٦٠ من الكتاب «التعبير المباشر غير مرة لكأنه سئم التعبير غير المباشر والايحاء فجاء يقذف ما عنده من « حكمة » ومعرفة وخبرة وجها لوجه » .

محمد العوانى



بكت عينى اليمنى

للدكتور احمد الحوفى

جاء فى مقال (هل يصلح الألم والرفض مادة للشعر) بالعدد ١٠٨٦ من الرسالة الغراء : « وقد تناول شعراء العرب الألم فى مواقف كثيرة ، منها مواقف الرثاء ، ومنها مواقف الوداع وفراق الأحباب وبكاء الأطلال ، فأجادوا فى كل ذلك ، وان كانت بعض أشعارهم لم تخل من الألم المجرد ·

خذ مثلا قول الشاعر فى موقف الوداع :

بكت عينى اليمنى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

فنحن نشعر بالألم السلبى والزيف مجتمعين فى هذا البيت ، فانه فضلا عن خلوه من الابداع الفنى ، فقد أرانا صورة زائفة للبكاء ، فان العينين تبكيان ، وتسيل منهما الدموع ، ولا تنتظر احداهما حتى تزجرها الاخرى فتسبلان معا » ·

ولى على هذا التعقيب ملاحظتان :

أولاهما أن احدى العينين لم تزجر الأخرى ، بل ان الشاعر هو الذى زجر العين الباكية ، لتكف عن الدمع ، فتكشف زجره عن عجز مضاعف ، لأن عينه الأخرى فاضت بدمعها ·

والثانية أن هذا الشاعر وهو الصمة بن عبد الله القشيرى كان بدويا من شعراء العصر الأموى ، وكان قد أحب ابنة عمه ، فلما خطبها الى أبيها لم يستجب له فى حديث لا داعى الى تفصيله ، فكره الصمة أن يقيم حيث يقيم عمه ، وارتحل الى الشام ، وفى رحلته أنشأ قصيدة منها هذا البيت ·

ولكن ما معنى أن عينه اليمنى دمعت ، فلما حاول أن يكفكف دمعها بكت عينه اليسرى ؟

لقد كان الشاعر أعور ، كما ذكر : التبريزى والمرزوقى وغيرهما ، ومن هنا يتبين صدقه ، فلو أنه كان صحيح العينين وادعى أن عينا واحدة بكت ، ثم بكت الأخرى لكان كاذبا كما قال الاستاذ الجبلاوى ·

ولو أنه ــ مع عوره ــ زعم أن عينه العوراء بكت مع الصحيحة أول الأمر لكان قوله زائفا ·

ولكنه وصف الحقيقة الواقعة ، اذ قال ان عينه السليمة بكت ، وتمادت فى دموعها ، وحاول أن يردها فعجز ، وهنا بلغ البكاء ذروته ، فدمعت عينه العوراء ·

وأطباء العيون لا ينكرون أن الحزن الشديد قد يسيل الدمع من العين العوراء ، وقد يسيله من عينى الأعمى ، كما أكد لى هذه الحقيقة بعضهم ·

وللصمة شبيه فى هذا هو متمم بن نويرة ، فقد كان أعور ، فلما قتل أخوه مالك رثاه رثاء ملتاعا : وبكاه بكاء مرا ، حتى قالوا : ان الدمع تحدر من عينه العوراء ، فقام اليه عمر بن الخطاب فقال : وددت لو أنك رثيت زيدا أخى بمثل مارثيت به مالكا أخاك · وقد سأل عمر بن الخطاب الحطيئة : هل رأيت أو سمعت بأبكى من هذا ؟ فقال : لا ، والله مابكى بكاءه عربى قط ولا يبكيه ·

واذن فقد كان الصمة صادق الشعور ، وصادق التعبير عن هذا الشعور ، ولم يكذب فى نسبة البكاء الى عينه اليسرى بعد أن بكت عينه اليمنى ·

ولعل فى هذه الكلمة انصافا له ، وكشفا عن حقيقة أمره ·

للدكتور محمد صلاح الدين مجاور

كامل كيلاني في ذكراه

قليل أولئك الذين يتركون في نفـوس الناس آثارا ، وعلى ألسـنتهم ذكرا ، وقليـل أولئك الذين يفتقدهم الناس أجسـادا ، ولكنهم يحسون بهم فيما تنبض به آثارهم وتتحدث به أعمالهم وفيما يخلفونه من أشعة من نور وأضواء من فكر ، ولمعات من عبقرية وانتاج ٠

وفي الذكرى الخامسة لوفاة الاستاذ كامل كيلاني يذكر الانسان واحدا من هؤلاء القلائل الذين امتلأت بهم الدنيا حديثا عاطرا، وثناء مستطابا، وفاضت بهم المجالس اكبارا، وهو واحد من هؤلاء الذين كانوا أدباء بالفطرة والصنعة وأدباء بالطبيعـة والسليقة فكان أديبا مؤدبا ، وكاتبا مهذبا ، له سلوكه وقيمـه ومعاييره ، وله من قلمه وسيلة للتعبير عن هـذا السلوك وتلك المعايير ٠

كان يرى في الأديب أنه اذا كان صـاحب قلم يطاوعه وفكر يغترف منه فليكن له في خلقه كذلك قدوة لمن يقرءون له ويسترشدون بفكره ، ويتأدبون بأدبه ، فلم يعرف عنه رحمـه الله انحراف عن قيم عبر عنها ، أو تباعد عن مبادىء ومثل آمن بها ، ولا عرف عنه كذلك الاديب المتملق ، يحمـل نفسه على الكتابة ارضاء لنوازع أو اشباعا لغايات ، ولاعرف عنه أنه الكاتب الذى يبيع قلمه في سوق العروض بل كان يكتب تعبيرا عن احساسه ومشاعره ٠

لقد كان رحمه الله من طلائع الأدباء الذين تبنـوا الندوة الادبية يجتمع فيهـا أشتات الناس ومختلفو الثقافات ، يتبادلون الفكر ويتناقشون الرأى ، فلم تقف ندوته عند حد الأدب بما رسـم له من معالم وحدود ، ولكنها كانت ندوة في كل شيء تتسم بطابع الثقافة والمعرفة ففيها الفن والأدب ، وفيها الشـعر والموسيقى ، وفيهـا الدين والتشريع ، وفيها المال والاقتصاد ، بل فيها من الفلسفات قديمها وحديثها ٠

كانت ندوة يجد فيها كل فرد بغيته ، ولذا كانت قبلة الصفوة المختـارة ممن عرفوا بحسن الرأى ، وعمق الفكر وواسع الثقافة والالمام بالأدب وشئونه،

لقد كانت هذه الندوة كما كانت ندوة الجميـل بالاهرام ، وندوة العقـاد رحمه الله في بيته فرصة للاحتكاك الفكرى ، والتبادل الثقـافي ، واصطراع الآراء في جو علمي ملىء بالود والرغبة في المعرفة ، وكان الاسـتاذ كامل كيلانى ، بما أوتى من موهبة التأثير ، وما وهب من ابداع في المعرفة والأفق ، رائد هذه الندوة ، وموجهها ٠

كذلك كان ـ يرحمـه الله ـ أديبا خالقا فنانا ـ يأسر القارىء حين يكتب، ويستحوذ عليه حين يشعر، ويسيطر على احساسه حين يتحدث ، وهو فوق هذا كله موهوب فتح في الأدب مجـالات وأبرز فيـه اتجاهات ورسم له معالم في بعض ميادينه لم تكن معروفة من قبل ٠

فأدب الطفولة في مصر كان أدبا مهملا لا اعتراف به من أحد ولا اهتمام به من أديب بل ان ماكان منه موجودا على قلته وضآلته كان خلوا من الحبكة والدراية بالأطفال واستعداداتهم وميولهم ، ومن ثم كان هذا الأدب بعيدا في مجموعه عن روح الطفولة، ومايلائمها، فجاء الاستاذ كامل كيلانى ليضع المعالم الصحيحة لمن أراد أن يخوض هذا المجال، ويمهد السبيل لمن يريد أن يزود المكتبة العربية بهذا اللون من الأدب ، الذى ظلت لسوء الحظ خالية منه زمنا طويلا ٠

واليـوم قلمـا يخلو بيت يؤمن بالقراءة ويراها ضرورة للاطفـال ووسـيلة قوية تهيئهم لأن يكونوا قارئين بالمعنى الصحيح من كتب الاستاذ كامل كيلانى واذا كان هناك من سلك السـبيل ، وسار في هـذا المجال وأمد المكتبة العربية ببعض الانتاج فيـه ، فالواقع أن الاستاذ كامل كيلانى ، كان له فضـل السبق وتمهيد الطريق مما جعله رائدا لهذا المجال دون جدال ٠

بهذا المعنى وبغيره أوجد الاستاذ كامل كيلانى في أدب العربية مجالات لم تكن قد نالت العناية من قبل ، وفنونا لم تعط حظها من الانتاج ، وكان له الفضل كل الفضل في أنه مهد للكثيرين من غير أن يعبروا هذا الطريق دون مشقة أو عناء ٠

رحم الله الفقيد بقدر ماقدم للعربية ولغتها من أياد ، وبقـدر ما أفاء على الطفولة من أدبه السامى وما منحهم من حسـن الرعاية ، وعظيم العنـاية والارشاد ٠

من وحى المقهى

حكاية متقاعد

قصة بقلم : حبيب الزحلاوى



كنت أذهب الى ادارة الشركة مبكرا قبل ميعاد العمل فأجد المدير قد سبقنى فى الحضور وكثيرا ما كان يدعونى الى شرب قهوة الصباح معه قبل البدء فى العمل .

سألنى أكثر من مرة عن سبب تبكيرى فى الحضور فى حين كنت انجز أعمالى قبل الانصراف .. فكنت انتحل الاعذار . وافهم من ابتسامته الخفيفة انه يدرك أن أعذارى واهية وقد تجرأت مرة على أن اسأله لماذا هو يسبقنى فى التبكير فى حين أن طبيعة عمله توجب البدء فى الساعة العاشرة . أو هل هو يهرب من البيت كما أنا أهرب منه مبكرا .

انفتح باب الحديث بيننا على مصراعيه .. وبدات الشكايات والاعترافات تتثار من جانبينا . انا اصرخ من شراسة اخلاق زوجتى وهو يئن من زوجته تلقاه ليلا بالترحاب . وتودعه صباحا بوجه أكثر ولسان يقذف اللواذع ويقول : انه لولا صبيته الصغار وحنانه عليهم . ولولا شريعة الكنيسة التى تحرم الطلاق الا لاسباب تحط من كرامة المطلقة وترمى الزوج البرىء بالغفلة . لكان قد لاذ بالخلاص هربا ولو من نافذة طريق جهنم .

علتى اذن وعلة مديرى متشابهتان . هى الحيرة فى الوقوف على سر طبيعة المرأة التى تسعد رجلها وتشقيه فى وقت واحد .

من طبيعة المرأة الرعناء أن تخطىء فى تقدير ما تظنه يسعد الرجل ويأسره فيكون هذا الخطأ هو الباعث على اشقائه والى ضد ما تتوقع من اسره . ولكن علة مديرى أكثر خطرا من علتى . صبية صغار .. حنان أبوى معرض لالسنة المجتمع . بيد أن دينى سمح للعشرة بالمعروف والفراق بالمعروف . خصوصا وان لا ولد لى . لان زوجتى . أو لانى انا أو كلينا عقيم .

كانت طنطنات تلك الاعترافات يتراجع صداها فى ذهنى وتجول بخاطرى . وصرت انظر الى سكرتيرتى نظرة تنعكس عليها رغباتى فى سماحة الدين وحيويته . وأيقظت فى نفسى نزعة التمرد على الزوجة . وشهوة النسل والعزيمة على عمل شىء يبدل حال بسواه .

قلت فلابدا بنفسى أولا ثم بمكتبى .

لقد تنازلت طواعية عن منجهية مساعدمدير الشركة وغطرسته . ثم حولت مكتبى الى جنة رائعة الصفاء يشملها الألفة والسلام والود بين الرئيس والمرؤوس . لقد شعرت سكرتيرتى واسمها « هجران » بهذا التبدل الطارىء .. ولكنى لم اشعرها قط بانى مأخوذ بسحرها ولا بما كنت أهجس فى سرى وأخفى فى نفسى من رغبة فى الحياة معها . ولقد كنت اسعد كل السعادة عندما كانت تشرق بطلعتها البهية . وثغرها البسام يهدينى تحية الصباح . وكثيرا ما كنت ادعو سكرتيرتى الحلوة لتتلو على أوراقا أعرف مضمونها رغبة منى فى التملى من سماع نغمة صوتها الناعم الرقيق . والتملى من مشاهدة أهداب جفونها . وأتنسم نكهة فمها .

هل يخلق بى وقد جاوزت الاربعين بل أكثر أن انقض وفاء زواج دام نحو عشرين عاما لأنسج حياة جديدة مع هذه الفتاة .. سكرتيرتى الحلوة التى لاأعرف عنها الا ما اراه منها وأسمعه خلال ساعات العمل .. لم افاتحها بحبى بعد .. قد ترفض الزواج بى . لم افكر فى الجمع بين ضرتين . فعلام التخبط الان فى الوعث قبل تمهيد الطريق . لقد سكت على عقم زوجتى طوال هاتيك السنين . ونحيت عن بالى حب الابناء لا تخلصا من المسئولية بل نزولا على حكم الامر الواقع فلم لا اتخذ من هذا العقم البشع ذريعة لتبديل حال عكر بحال صاف ؟ لقد أسمعت زوجتى الكثير من عبارات الرضا عن حياتنا الرتيبة التى لايشوبها سوى كدر صباحى تتعقبه لوجه الشيطان وتلقاه فى المساء بذراعين مفتوحتين وصدر رحب حتى صرت اعتقد ان الكدر فى الصباح انما هو تهيئة لصفاء المساء .. وأخيرا هل اذا وضعت قلبى بكفى اقدمه عربون حب صادق لحياة زوجية جديدة مع سكرتيرتى هجران الحلوة هل هى ترضى بهذه التقدمة أم تبخعنى وتردنى كسيف البال هذا ماكان يجول فى خاطرى . وكنت الوكه ثم الوكه . ولكن منطق حالى كان يقف حائلا دون ازدراد مشروعى مجملا ومفردا للفارق بين

كهولتى وصباها ويتركنى فى دوامة من الحيرة .

اقبلت هجران ذات صباح تحيينى بدمعة مترجرجة وكلمة مغصوصة ، ولما استوضحتها وقد اشعرتها بالحدب عليها والاهتمام بأمرها بكت وقد اخفت وجهها بمنديل مبلل بالدموع واخيرا قالت وهى تنهنه بأنها اختلفت مع خطيبها على كيفية حياتهما الزوجية وانهما فصمت عرى علاقتها به .

تعمدت اغلاق باب الحديث عن اسباب الخلاف ، واقللت ما استطعت من أهمية وقع هذه الصدمة عليها ، وتلطفت فى دعوتها الى التريث عسى ان يأتى الغد بالمجهول المحظوظ الذى سوف يحظى بالجوهرة المكنونة . وقد قفز الى ذهنى خاطر جرىء وقلت فى سرى ان الفرصة قد سنحت والاوان قد آن لاعسلانه والافصاح عنه ، ولكن يدالعقل شدت شكيمتى فسكت وتراجعت .

اخذ دولاب الحياة يدور ببطء ، والايام تسير متمهلة متانية ، غير أن الدمعة الصامتة ما برحت تترجرج فى مقلتى « هجران » .. والفكرة الجريئة المكتومة مازالت تضطرب فى ذهنى .

عدت اسأل هذه الفتاة المحزونة اذا كان ثمة من وسيلة الى ازالة خلافها مع صديقها قالت وقد نظرت الى نظرة ذات معنى : هناك خلاف عصى حيث لاخلاف ، يريدنى أن استقيل من عمل واعود الى قاعدتى التى خلقت لها لأكون زوجة وربة بيت وام ، ولا يرضى أن أكون عاملة أذرع الشوارع والطرق ، اعاشر الزملاء واصغى الى رقاعاتهم فى أحاديثهم ، واتعرض الى تجاريبهم وأحابيلهم ونظراتهم .

رفضت بداهة قبول هذا التحكم الظالم ، محافظة منى على الحقوق التى انتزعتها المرأة من الرجل ، وحرصا منى على حريتى وهى أعز مكانة وارفع شــأنا عندى من عبـوديه المنزل وتحكم الرجل وجبروته .

سايرتها مسايرة الرجل المغرض ، واطنبت فى امتداح الحرية العصرية ، وقســوت فى القول فى طبائع الرجعية ، وحمدت الطلاق الفتيات انمــا أسعفت لاندفاعهن قبــل أن يتزودن بالمناعة الاخلاقية تقيهن أحابيــل الرجال ، وكنت ألمون تلون صاحب الغرض بكيف الحديث الذى يدنى الســمكة من الشبكة .

بارحت البيت مبكرا على غير عادة زوجتى بتزويدى بنــكد جديد او ما يكدر الخاطر فتساءلت وتوسوست .. وتوجهت الى مركز ادارة العمــل ، واذا بى ألقى السيد مدير الشركة والآنسة هجران واقفين عند مدخل باب ادارة الشركة .. حييت المدير ولم التفت الى الفتاة المبكرة بل التزمت حيالها سمت التوقر وعنجهية مساعد مدير الشركة ورحت معه الى مكتبه نشرب قهوة الصباح ونثرثر .

كان مدار ثرثرتنا يدور حــول تصرفات زوجه وهى تشبه تصرفات زوجتى المطبوعة على النكد . وكنت فى ذات الوقت اخفى فى قلق منى وجود هذه الفتاة واقفة الى جانب المدير فى وقت غــير مصرح بالدخول فيه لاحد من موظفى الشركة الا فى موعد العمل .

كنت أذرع غرفة مكتبى بخطوات عصبيــة واسعة حتى دفعت هجران الباب لتحيينى تحية الصباح الحلوة كعادتها والابتسامة المرحة تملأ وجهها ، فوجدتنى آخذ خديها بين كفى بحركة تلقائية واطبع على كل خد قبلة ، يالله مـا اطيبها واحلاها ، وقلت آه لو تعلمين كم انا احبك يا هجران ، قالت اعرف انك تحبنى ولكن لماذا تحبنى ؟ نسيت لذعة الغيرة وغمزة الشك وفورة العصبية التى ساورتنى ساعة رايتها واقفة الى جانب المدير ، وقلت لها انى احبك لثلاثة أسباب الاول هو انى احبــك والثانى والثالث هما انى احبك واحبك .

قالت وقد اخذتنى من يدى وأجلستنى على مقعد مكتبى ، هل يرضيك أن اقول انى لا احبك لثلاثة اسباب ، قلت بنزق ما هى تلك الاسباب ؟ قالت وهى تتمثل الرصانة سيدى الرئيس الاسباب أربعة لا ثلاثة .. قلت بربك اذكريها ياهجران ، قالت الاول عبوسة فيك صارخة ، والثانى سخرية لاذعة صارخة ، والثالث بسمة حلوة صارخة .. والسبب الرابع هو انك متزوج عريق فى الزواج .. قلت : بربك نحى السبب الاول والثانى وحدثى بالسبب الثالث اما السبب الرابع فامره منوط بك وحله موقوف على رأيك فى كيفية حلوله . قالت انى فى تبعيتك منذ اربع سنوات أراقب حركاتك وسكناتك .. انصت خلسة الى أحاديثك مع السيد المدير وتشاكيكما ، فلولا حب كان عارما فى نفسى لخطيبى الذى فارقنى ، ولولا كرامة نسوية أعتز بها لتصديت لك تصدى الراغبة فى كسب كنز ثمين ولكن ... ولكنى لا أحبك لأنى ما زلت أحب خطيبى الذى فارقنى لانه الحب الاول قلت هل اعترافك الصريح هذا نتيجة للحرية النسوية المكتسبة ؟

قالت :

ـ انه لكسب عزيز يبعــدنا عن الرياء ويقربنا من الصدق .

انقلب ميزان تفكيرى ، وتحولت من طامع يحاول اقتناص الطريدة بسلاح العاطفة الى انسان يحترم نزعات العاطفة واحكام العقل ، لقد أجبرتنى صراحة هذه الفتاة العصرية على احترام حبها وتقديرها الوفاء للحب البكر ولقد اخذت احور حبى لها ، واحول تفكيرى فيها الى صداقة بريئة تعطرها قبلتان فى الصباح من الوجنتــين الورديتين وقد كانت هجران



تقابل قبلاتى خديها بقبلة من يدى ، وكنت احس بتلك القبلات كأنها متبــادلة بين اب وابنته لا بين حبيبة وحبيب .

لم تنصرم شهور كثيرة على اعتراف هجران بحبها المكنون لخطيبها الذى فارقها بمعروف وان لولا ذلك الحب البكر لكنت الرجــل المفضل عندها . وفى ذات صباح جاءت تقول أن خطيبها قد عاد اليها نادما متضرعا يدعوها

الى التصرف في حياتها وفق رغبتها ، والى تدبير أمور منزلها كما تشاء ، وانه لن يمنعها عن مزاولة عملها الا اذا أرادت هي الامتناع ويرجو منها الاسراع في عقد القران ، والها تحمل كتاب الاستقالة لانه تبين لها بعد التفكير أن العمل خارج البيت مدعاة لتقويضه لا الى اعماره ، وان حدود مملكة المرأة وشعبها هي المنزل الذي يأويها والرجل الذي ترعاه واولادها .

لابد مما ليس منه بد ، ودعت هجران بعد ان وعدتني بألا تقطع صلتها بي حتى بالتليفون ووعدتها باني سأكون عند حسن ظنها بي في كل داع من دواعي الحياة وتقلبات الزمان .

لم اقبل وجنتيها ساعة الوداع بل قبلت جبينها ، وقد قبلت هي يدي واحسست بدمعة ساخنة بللتها .

اخذت الوحدة ترين على حياتي ، واحسست بالنقص الذي لا يكتمل والفراغ الذي لا يملأ صحيح أن سكرتيرة جديدة حلت بدلا من التي استقالت ولكن اين الجاذبية .. اين السحر والفتنة ؟ اين الروح .. اين الأمل ؟ لقد نفد ذلك الثراء الواسع وضاع الكنز ، لقد ترملت الروح وتيتمت ، وعدت الى بيتي لا القى من زوجتي نكدا في الصباح ولا تأهيلا في المساء ، لان دوافع النفس والجسد قد ضاعت منها ومني .. هل وهل وهل ؟ الى آخر ما لاينتهي من أسئلة لا اجوبة عليها .

اخذت صور ماضي حياتي مع زوجتي تتراءى لي في جلاء واضح ، وكنت اقلب صفحات كتاب ضميري بوعي بعيد عن مؤثرات الشباب ونزعاته ، لقد تبين لي أن الماضي لايقارن بالحاضر ، وان النفس دائمة التطلع الى المستقبل وهو يحمل كل جديد من روح العصر " غير عابيء بتقديرات عمر الانسان ، وخطوات السن نحو الكهولة او ما بعدها ، لان الفكر والقلب لايشيخان أبدا الا اذا مسهما عطب او مرض ، وقد رأيت رأي التجربة ان المرء في سن الاربعين الى الخمسين غير مما كان عليه في طيائشة العشرين وجنون الثلاثين ، وان لافرق بين الرجل والمرأة في الاحساس والشعور والتصور والتخيل انما الفرق بينهما في التعقل ، وكثيرا ما يخون التعقل المرأة .

ان تجربتي في الحياة تدعوني الى القول ان سعادة الرجل في حياته تبدأ في الاربعين وتمتد الى ما بعد الستين بعكس المرأة التي تذبل وتجف بعد الخامسة والاربعين . فاذا كان الامر كما صورته وفلسفته وشرحته فلم لا أطلع زوجتي على مايدور في خلدي أتذرع



بذريعة حب البقاء في النسل واسكت طبعا عن امنية تجديد متعة الحياة واحل معها اشكالنا حلا سليما .

خواطر بل هواجس سرعان ما تبخرت حين اصطدامها بالواقع ، واقعة الفة حياة زوجية رتيبة ، ومنزل على وضع واحد ، واعتياد استقبال من الزوجة بالتأهيل والترحيب وما يخلفان من اجهاد ، وتوديع في الصباح بالنكد وما يترك وراءه من آلام في النفس وقد اخذت اخنع للواقع واستكين لولا بقية من «امل» واهي كان خيال الجشع يمنيني بان يستحق او سوف يتحقق لان البذور التي بذرتها « هجران » لقيت تربتها الصالحة في وجداني .

انقباض وعبوس لازماني ، زايلتني البشاشة والبساطة ، كنت أحس أن كل من كان حولي يضايقني ويضيق بي ، حتى مدير الشركة الذي كنت اواسيه واسليه صار يرثي لحالي ، والسكرتيرة الجديدة كانت نكاتها تؤلمني لان ضحكي كان بكاء ، ونفسي لاتحتمل الضحك .

أيام وأسابيع وشهور طوال كنت في غضونها في شبه ذهول عن كل ما يدور حولي لقد كرهت بيتي ومن فيه ، وصرت الود بالخلوات والانفراد ، وبهذا المقهى أدخن نارجيلتي واتخيل دخانها يكلمني .

كنت اصغي سكرتيرتي وهي تبتسم وتقول سيدي «كعب عالي» يسأل عن سيادتك .. بالتليفون ، قلت ماذا ؟ قالت وهي تتعمل الارتعاش : صوت نسائي ناعم خفيف لطيف يسأل عن سعادتك ، قلت : اغربي أيها الشيطان الى الخارج ودعيني وحدي أتكلم انطلقت وهي تهم بالخروج نكتة بارعة الخفة ، تناسب الموقف لم اتمالك عندها من الضحك واقبلت على التليفون بقلب لهيف جزع أنصت بجوارحي الى صوت فتنة تطربني ، وطلعة صاحبته تبهجني وتقول بانها بعد قليل تكون في مكتبي اذا كنت أسمح لها بالمجيء .

يستخفنا الطرب فنتمايل ونترنح فكيف بي لا أرقص وأتمايل واقفز وانا أدور في غرفتي انتظر انبثاق نور وجه هجران .

اقبلت بقدها الفارع ، ونظرتها الساحرة ، وجيدها الاتلع ، وقد تفتقت براعيم شبابها ترتدي فستانا اسود بدت فيه كنجمة لامعة في سماء غاب قمرها ، مددت لها كفي وانا صامت ، واعطتني كفها الصغير وهي صامتة لقد تعانقنا بكفينا ونحن نبكي .

قلت لها وقد أشرت بيدي الى فستانها ، الحزن على فقيد عزيز ام رسميات فسرتك على المحافظة على «الاتيكيت» ، قالت : ربما يكون هذا أو ذاك ، والصحيح هو اني جمعت بين الأسى الذي لامفر منه وبين الرسميات التي لامحيد عنها في الحياة ، قلت ان التقلب بين هذا وذاك لايعني سوى الأسى المرتقب فهل شجر خلاف بينك وبين زوجك فأجابت وهي تبتسم ابتسامة خفيفة : لقد انفصمت كل العرى بيني وبين ذلك الزوج المسكين ومحوت ذكره من خاطري الى أبد حياتي ، واخذت تفضي لي باسرارها الزوجية وهي أسرار اتفقت معه على دفنها في عيادة الطبيب اذ ليس للطب فيها حيلة .

قلت ماذا بعد ذلك ؟ كان جوابها غض الطرف والسكوت .

ضقت بسكوتها الخجلان وقلت بنزق الارعن العجول هل استدعي المأذون؟ استدركت تسرعي في طلب المأذون وسألتها بضراعة هل ترضى بي زوجا وقد ناهزت الخمسين .

ابتسمت وقد رمتني بنظرة العاتب وقالت الست ترى في استدعاء المأذون تسرعا ؟

قلت : الحق معك ولكن .. ولكن لابد أولا من تسوية علاقتي بزوجتي وكيف ترتئين يكون الحل ؟

قالت وهي هادئة النفس ساكنة الجنان : الامر متروك لك وحدك .. أنت الرجل .. فالمفروض هو أن ترفض الزوجة أو تقبل الوضع الذي يراه الزوج .

فتح مصراع الباب الفاصل بين غرفة مكتبي وغرفة مكتب السكرتيرة وبرز راس الشيطانة الظريفة تطلق من فمها زغرودة مجلجلة انتزعت مدير الشركة من مكتبه فاسرع ليرى يدي في يد حبيبتي وقد صارت وحدها زوجتي وام اولادي .

حبيب الزحلاوي



الثقافة والإرشاد القومى

العدد ٧٠
الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر